

# الطريق إلى الله تعالى

نظم وترتيب شيخنا العارف بالله الإمام الشيخ محمد خليل الخطيب  
رضي الله عنه

شرح تلميذه

عبد السلام محمد أبي الفضل

امام وخطيب مسجد المتولى بالمحلة الكبرى



# الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

فُظِّمَ وَتَرْتِيبَ شَيْخِنَا الْعَارِفِ بِاللَّهِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ خَلِيلِ الْخَطِيبِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شرح تلميذه

عبد السلام محمد أبي الفضل

امام وخطيب مسجد المتولى بالمحلة الكبرى

الطبعة الثالثة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فِي سُبْحَةِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين أنعم علينا بالإسلام ، وهدانا للإيمان وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله سبحانه جمل الإسلام فوراً وهدى لنوره من شاء (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) ،

أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين .  
ففي الهدى الذي طهر قلبه وختم به الرسالة ربه إمام كل رسول ونبي وسيد كل عالم وقي القائل (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) )

اللهم صل وسلم وبارك على إمام المرسلين وسيد المتقين وشفيع المذنبين وحبيب رب العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

أما بعد :

ففي ليلة الأحد ليلة إحدى وعشرين من شهر جماد أول سنة ١٤٠٣ هـ رأيت شيخنا العارف بالله سيدنا وأستاذنا الشيخ محمد الخطيب شاعر النبي الحبيب ﷺ رأيت في المنام كأنه يحثني على قيام الليل وكم رأيت رضى الله عنه وأستبشر برؤيته خيراً جزاه الله عنا خير الجزاء فانتبهت من النوم وقد ألقى الله في قلبي أن أكتب تعليماً موجزاً على قصيدته العظيمة (الطريق إلى الله تعالى) وهي أحسن نظم قرأناه في التصوف الصحيح الذي هو الإسلام

---

(١) متفق عليه

حقيقة المبنى على الكتاب والسنة لا يحيد عنهما قيد شعرة ، وكم نويت هذا التعليق وتراجعت عنه لأنى لست من فرسان هذا الميدان ولا من أهل هذا الشأن ، وفي هذه المرة وجدت رغبة قوية حتى خطرت لى فى صلاة الفجر فاستخرت الله تعالى بعد ظلوع الشمس وبدأت أكتب متطفلا على موائد الكرام ومن تطفل على موائد الكرام لا يضام والآن أشرع فى المطلوب مستعينا بعلام الغيوب فمن استمعان بالله بلغ مناء وفوق مناء وأسأل الله الذى لا يرد من سألته ولا يخيب من قصده التوفيق والقبول .

سبحان من لا يخيب من قصده من قصد الله صادقا وجده  
قد شمل الخلق بفضل نعمته كل إلى فضله يمد يده  
يا رب ارزقنا الصدق والإخلاص وأغننا عن شرار الناس وانفعنا  
وانفع بنا وعاملنا بفضلك ولا تعاملنا بأعمالنا فنى ما يليق بلؤمى ومنك  
ما يليق بكرمك يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين يا رب العالمين .

باقم الله أكتب تعليقا موجزا على قصيدة شيخنا الإمام رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه ، فكلها حكم ومواعظ غالية سبحانه من هدى شيخنا إليها وأنطقه بها وكم أنطقه الله بالحكم (ودن يؤت الحكمه فقد أوتى خيرا كثيرا) . وهأنذا أسوق القصيدة كاملة تيمنا بها ثم أكتب . التعليق عليها بيتا بيتا . والله المستعان وعليه التكلان . ومنه العون والتوفيق

عبد السلام محمد أبو الفضل

## الطريق إلى الله تعالى

قال الولي العارف بالله تعالى الإمام الأستاذ الشيخ: محمد خليل الخطيب  
رضي الله عنه :

يا ناشِد الوُصْلِ خُذْ وَصَفَ الطريقِ له  
وَجِدَّ فِيهَا عَمَى تَدْنُو مِنَ الْحَكَمِ  
أَمْسِكْ قَوَادِكَ إِلَّا عَنْ تَذَكُّرِهِ  
وَبَيْتِكَ الزَّمْ وَجُدْ بِالْذَمِّ مِثْلَ دَمِ  
وَاعِزِّمْ وَذِلِّ وَصِلْ فِيهِ وَبُتِّ وَتُبْ  
وَاسْمَحْ وَإِنْ وَاسْتَعْنِ وَاسْتَهْزِ وَاسْتَقِمْ  
وَاسْهَرْ وَجَّعْ وَاعْتَزِلْ وَاصْمِتْ وَرَجْ وَخَفْ  
وَإِذَا كَرَّ وَفَكَّرْ وَرَاقِبْ وَامُحْ وَاحْتَشِمْ  
وَخَلْ نَفْسَكَ وَاصْذُقْ فِي مَعَامَلَةٍ  
وَارْحَلْ إِلَيْهِ تَذَلُّ خَيْرًا وَتَغْتَنِمْ  
وَخَلِّ هَمَّكَ وَجَهْهُ اللَّهُ مَنْفَرَدًا  
تُسَكِّتُ الْهَمُومَ وَتَبْلُغُ قَمَّةَ الْقِمَمِ  
وَاعْبُدْهُ بِالْعِلْمِ وَالْإِخْلَاصِ لِمَنْهَمَا  
رُوحَ الْعِبَادَةِ مِنْ فَعْلٍ وَمِنْ كَلِمِ  
وَفِيهِ جَاهِدْ تَشَاهُدْ مَا أَعِدَّ لِمَنْ  
فِي اللَّهِ قَدْ جَاهَدُوا مِنْ فَضْلِ رَبِّهِمْ  
وَخَالَفَ النَّفْسَ وَاجْتَرَأَ مَكْرَهَا أَبَدًا  
فَقَدْ نَدَسَ وَحَيَّ السَّمَّ فِي الدَّمِ  
وَأَعْطَاهَا حَظَّهَا الْمَشْرُوعَ تَقْوِيَهُ  
عَلَى الْمَسِيرِ وَإِنْ تَحَسَّمَهُ تَحَسَّمِ

- ٦ -

وصم عن السكون حبا في مُمُكُونِهِ  
 واستغفرَنَهُ وفي مَشروعِهِ أَقِمِ  
 واقطع نهارك بالتقوى وقم سحراً  
 فـكـم لربك في الأسحار من كَـوَمِ  
 نادى وقد نزل الدنيا بلا شَبَهٍ  
 سبحانَهُ عن صفات الخلقِ كُلِّهِمْ  
 يا راغباً نعمى يا راغباً نَقَمى  
 يا سائلاً كَرَمى يَهْلُ كالديَمِ  
 إلىَّ ولَّ وعن غیری قَوْلُ  
 وكن عبيدٍ أُصَيِّرُ لك الدنيا من الخدمِ  
 وابذل لي النفس والدارين كُلِّهما  
 وما هَوَيْتَ تَكُنْ عبيدِي على قَدَمِ  
 واحدٍ لأحمدَ من مدِّ الوجودِ وَمَنْ  
 عليه فضلي غدا في غايَةِ العَظَمِ  
 واشكرهُ إذ نَعَمَى الكبرى على يَدِهِ  
 مَرَّتْ إِلَيْكَ وَإِنْ تَشْكُرْ لَهُ تَدُمِ  
 ولا تُغَرِّكَ الدنيا وبهجَتِها  
 فإنها والذي فيها إلى عَدَمِ  
 هي المتاع قليلاً فانِياً أَيْدِ  
 تبيعُ حَظَّكَ في الأخرى من النعمِ  
 إياك وإياك والأحداث تصحُّها  
 والغيد تَسْلَمُ فكم في ذين مِنْ نَقَمِ  
 وإن سَبَّكَ الدُّمى فانظر بفكرِكَ ما  
 تغدُو إليه الدُّمى في ظلمَةِ الرَّجَمِ  
 وجيءٌ بخير وقل خيراً وإن جَنَحَتْ  
 للشر نفسك فاحذر ربةَ الضَّرمِ



وَلَا تُفَرِّطْ وَخُذْ بِالْحَزْمِ مُتَّكِلاً  
فَالْأَخْذُ بِالْحَزْمِ مَنجَاةٌ مِنَ الْحَزْمِ  
وَأَلْزِمِ النَّفْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ تَلْفٍ بِهِ  
عَوْنَا عَلَى زَهْدِ دَارِ الْهَمِّ وَالشَّجَمِ  
وَلِنْ قَسَا الْقَلْبِ فَالْأَجْدَاثُ مَوْعِظَةٌ  
بِهَا تَرِقُ وَتَهْمِي عِبْرَةُ الْقَدَمِ  
إِذَا تَأَمَّلْتَ مِنْ فِيهَا فَاسْتَتَرِي  
مُفَرَّقًا بَيْنَ صَيْدِ النَّاسِ وَالْخَدَمِ  
وَلَا مَلِيٍّ وَذِي فَقْرٍ وَمَنْ دُفِنُوا  
فِي سَبَبٍ يَجْمَلُ أَوْ بَاذِخِ الْأَطَمِ  
وَكَيْفَ وَالتَّرَبُّ أَبْلَاهُمْ وَقَدْ مَزَجَتْ  
رِمَّ الْهَوَادِي رِمَّ السَّاقِ وَالْقَدَمِ  
وَمَا مَلَكَتْ قَلْبُ يَأْنَفُسُ يَوْفَ يَرَى  
مَلِكًا لَغَيْرِي كَمَا قَدْ كَانَ مِنْ قَدَمِ

## الشرح

قال شيخنا رضى الله عنه :

( يا ناشد الوصل خذ وصف الطريق له  
وجده فيها عسى تدنو من الحكيم

وأقول إن شيخنا جزاه الله أحسن الجزاء من خير السالكين طريق  
الله والواصلين إليه والداهين إلى هداه وهو من كبار علماء الأزهر المحققين  
ومن خير الهداة المرشدين بأقوالهم وأعمالهم ولولا أنى أستحي من تواضعه  
الحقيقى لقلت هو أعلم من رأينا يدعو إلى الله بحاله ومقاله ويجاهد في سبيله  
بنفسه وماله وتأمل قصيدته هذه تجد عجبا وتبهر ومن قرأها أو سمعها ولم  
يرغب إلى الله فهو كالحجر .

إسمع وهو يقول يا ناشد الوصل يعنى يا من تريد الوصل إلى الله والوصل  
إلى الله تعالى ليس بالمسافات ولا بالخطوات (١) ومن ظن أن الله يوصل إليه  
بالخطى (٢) فقد وقع فى الخطأ، ومن ظن أن الله يحجب بالغطاء فقد حرم العطاء  
ولكن الوصل إلى الله بالقلوب فمن صفا قلبه كان مع ربه وكان الله معه  
معية تليق بجلاله تعالى .

سمعت من شيخنا الخطيب « من كان مع الله كان الله معه ومن كان الله  
معه كان ملك الله فى خدمته » .

(١) هذه من حكم سيدى عطاء الله السكندرى .

(٢) بالخطى : أى خطوات الأقدام . والخطأ : أى الخطأ يعنى جانب  
الصواب والغطا أى الغطاء أى الحاجب المحس والغطا أى العطاء : وهو  
الإكرام من الله تعالى فإنه تعالى ليس كمثل شئ .

قال شيخنا خذ وصف الطريق له فهو يصف الطريق بغاية التحقيق يقول (وجد فيها) لأن من جدَّ وجدَّ ومن رقد خمد، من جاهد شاهد ومن رقد تبعاد والطريق إلى الله كما قال بعضهم كالعروس ومهرها قتل النفوس أى مخالفتها كما ستعرف من قصيدة شيخنا .

وكلنا مأمور بسلوك الطريق إلى الله قال تعالى (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) وأعلى شيء يطلب في الوجود هو الطريق إلى الله لأنه الموصل إلى رضاه ورضا الله غاية كل كريم ومقصد كل نبيل وذلك لا يكون أبداً إلا باتباع رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وكل عمل يخالف هدى رسول الله ﷺ مردود على صاحبه مضروب به وجَّهه قال ﷺ ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد (١) ومن حكم شيخنا المفظومة:

يامن له عض الزمان ينابيعه — وأنت مصائبه إليه دراك  
علق فؤادك باتباع محمد — واجعله خيراً وسيلة لفجاءكا  
لا فعمه في تلك أوفى هذه — كانت نصيبك أو نصيب سواكا  
إلا وكان السر فيها المصطفى — فاعرف مكانته ينم هداكا  
جد في الطريق على هدى المصطفى ﷺ تدنو من الحكم وهو الله  
قال شيخنا :

(أمسك فؤادك إلا عن تذكره وبيتك الزم وجد بالدمع مثل دم)  
الله أكبر ما أحسن هذا الكلام لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة أمسك  
فؤادك إلا عن تذكره أى لا تجعل في قلبك غير ذكر الله قال تعالى (قل الله ثم  
ذرهم في خوضهم يلعبون) وبيتك الزم بعيداً عن الشر والأشرار والقييل

---

(١) رواه مسلم . ورواه البخارى معلقاً في صحيحة في كتاب الاعتصام  
باب أجر الحاكم إذا اجتهد ورواه البخارى موصولاً في كتاب الصلح باب  
إذا اصطلموا على جور ولفظه (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه  
فهو رد ،

والقال بعد أداء العمل الذي لا بد منه وأداء فرائض الصلاة في بيت الله ،  
لتوجه أهلك وتعلم ولدك أمر الدين .

لأعلم وعلم جميع أهلك واستبح من جهلك وجَهلك

وجالس العلماء وتعلم منهم وبلغ ما تعلمت إلى غيرك وكن  
دائماً في خدمة الإسلام يكرمك الله غاية الإكرام ولا تسكن من  
من اللثام للذين لا هم لهم إلا في لذة أو منام وقوله وجد بالدمع مثل دم.  
ظاهر بأن تذكر ذنوبك وعيوبك وما ضيعت من وقتك ووقوفك بين  
يدين الله فتبسكي من خشية الله والبكاء من خشية الله من أجل نعم الله  
ينعم بها على من أحب من عباده وكلام شيخنا الخطيب مأخوذ من كلام  
الحبيب عليه السلام فعنه بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت  
بيده فقلت يا رسول الله بهم نجاة المؤمن؟ قال ديا عقة أخرس لسانك وليس معك  
بيتك وإبك على خطيئتك قال ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي  
فقال ديا عقة بن عامر إلا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل  
والزبور والقرآن العظيم قال قلت بلى جعلني الله فداك قال : فأقرأني ( قل  
هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) ثم قال ( يا عقة  
لا تنسهن ولا تبث ليلة حتى تقرأهن قال عقة ثم لقيت رسول الله ﷺ  
فابتدأته فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال  
« يا عقة صل من قطعك وأعط من حرملك وأعرض عن ظلمك » رواه  
أحمد والترمذي مع اختلاف في اللفظ . اللهم خلقنا بهذه الأخلاق  
الكريمة يارب .

قال شيخنا رضى الله عنه :

( واعزم وذل وصل فيه وبث وتب

واسمع ولن واستعن واستهد واستقم )

والعزم على الشيء إرادة فعله مع القطع والهمة ومن كان ذا همة بلغ القمة والمراد العزم على سلوك الطريق إلى الله مهما تحصل في سبيل ذلك من مشقات فمن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل .

قيل دخل جماعة على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه فرأى فيهم شابا يبدو عليه أثر الجهد فقال يا غلام ما الذي بلغ بك ما أرى قال يا أمير المؤمنين أمرض وأسقام قال سألتك بالله إلا ما صدقتي قال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة لذلك أسهرت ليلي وأظلمات نهارى وقليل ما أنا فيه في جنب ثواب الله أو عقابه .

قال رسول الله ﷺ ( من خاف أدجّجاً ومن أدجّج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ) (١) . والله در من قال :

من يشتري الجنة في عدن عالية

في ظل طوبى رفيعات مبانيها

دلاها المصطفى والله بانعها من أراد وجبريل مناديا

فمن تكاسل عن طريق الجنة فرحاً بدنياه متبعها هو اه فهو جهول مخدول لا عقل له مهما بلغ من الدنيا قال تعالى ( وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ) .

وقال رسول الله ﷺ ( الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ) رواه الإمام أحمد .

قال شيخنا وأعزم وذل . أى وكن في غاية الذل لله تعالى فالذل لله تعالى هو العزم قال بعضهم قصدت أبواب الله فوجدتها مزدحمة إلا باب الذل وجدته خالياً فدخلت منه .

قال شيخنا في دعائه :

( يا حى يا قيوم يا رب البداية والنهاية  
بالذل نسألك العناية والوقاية والكفاية )

ومن الذل لله تعالى تذللك للو الدين امثنا لا لأمرا لله . قال تعالى (واخفض  
لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) وكذلك  
الذل لمن يرشدنا إلى الله تعالى والأولياء والصالحين والمؤمنين قال تعالى  
(واخفض جناحك للمؤمنين) أما الذل لأهل الدنيا من أجل دنياهم فهو  
الحسنة والعار .

وقول شيخنا ( وصل فيه وبُتَّ ) أى وصل في الله من واصلوه وبت  
أى اقطع من قاطعوه أى ابتعدوا عن طريقه . ومعناه الحب في الله والبغض  
من أجل الله أى حب من والاه وبغض من عاداه ومن حكم شيخنا :

وصل من واصلوه ولو عبيداً فإن واصلهم جسم المزياسا

ومن السبعة الذى يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في حديث  
البخارى (رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) وتأمل الحديث القدسى  
الذى رواه البخارى (من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب) إلخ ، والولى  
يشمل كل مؤمن بدليل قوله تعالى ( الله ولى الذين آمنوا ) فلا تعاد مؤمناً  
ولا توأل كافراً . قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه (لا تقتخض من  
المؤمنين عدواً ولا من الكافرين ولياً) ولا شئ أنفع للقلوب من محبة  
الصالحين ومعاشرتهم ومعرفة أقوالهم وأفعالهم . قال بعضهم :

لى سادة من عزم أقدامهم فوق الجباه  
إن لم أكن منهم فلى في حبهم عز وجه

أما معاشره الجلهة والفسقة والظالمين فهى سم للقلوب وبعد عن طريق  
علام الغيوب ، لأنهم شياطين وبهائم في صورة بنى آدم . والله در من قال :

واعلم بأن عصابة الجاهل بهائم في صورة الرجال

وقال آخر :

عاشر من الناس كبار العقول      وجانب الجهال أهل الفضول  
واشرب نقيع السم من عاقل      واسكب على الأرض دواء الجهول

وقول شيخنا (وتب) إرشاد قويم وتنبيه كريم إلى أمر عظيم وهو التوبة لأنها أساس كل نجاح وفلاح . ومن بنى أعماله على غير توبة كان كمن يبنى على غير أساس وهي الرجوع من الأوصاف الذميمة إلى الأوصاف الحميدة ، ومن الجهل إلى العلم ومن المعصية إلى الطاعة هي فرار إلى الله تعالى قال تعالى (ففرؤا إلى الله) وقال تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال سيد الأولين والآخرين ﷺ في الحديث المتفق عليه دلو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يسكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) وشرطها الغم على ما فات من الغفلات والسيئات والإقلاع حالا عن الذنوب والهفوات والعزم على أن لا يعود إليها أهدأ حتى الممات ، ورد المظالم إلى أهلها بقدر المستطاع واستدراك ما فات من الحقوق والواجبات ولزوم الاستقامة في جميع الأوقات قال تعالى (ولمأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ، والسلام في التوبة كثير والنبيل يكفيه القليل في تحريك همته إلى الملك الجليل ومن مات قلبه لا يفيد فيه الكلام فاحذروا موت القلوب فإنه أعظم المصائب وأكبر الذنوب .

( إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة )

كالأرض إن سبخت لم يفتح المطر )

وكان رسولنا الكريم ونبينا العظيم ﷺ يقول في المجلس الواحد (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) مائة مرة .

وقول شيخنا (واسمح) السماح والسماحة الجود والمسامحة المساهلة أى كن كريما سهلا فأحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضا وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسماحة قال تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) وقال رسول الله ﷺ : (رحم الله رجلا سمحا إذا باع

وإذا اشترى وإذا اقتضى) رواه البخارى وقوله (وان) من اللين الذى هو من أخلاق المؤمنين ويكون اللين فيما لا يضر بالدين فلا يلين مثلاً مع زوجته وبناته حتى يخرجن متكشفات متبرجات ولا يلين مع أولاده حتى يتركوا الصلاة فالتبرج وترك الصلاة من مصائب هذا الزمان فالرجل إذا لان مع بيته إلى هذه الدرجة كان مجرماً ومضيعاً . وما أفسد النساء إلا فساد الرجال فعندما ترى الرجل يغضب إذا طلب من زوجته كوب شاي وتأخرت ولا يغضب إذا تركت الصلاة أو خرجت من بيتها مكشوفة الرأس أو كاشفة عن زينتها فهو فاسق ومضيع والويل له من الله ، قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ) وقال ﷺ : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع<sup>(١)</sup> . ومن أعظم الذنوب التى يلقي الإنسان بها ربه جهالة أهله لأنه مسئول عنهم ودين الإسلام لا يرضى لتارك الصلاة أن يمشى على وجه الأرض واسكن يحكم عليه بالسجن أو ضرب رقبتة بالسيف إن لم يتوب وكان رسولنا الكريم ﷺ لا يغضب لنفسه فإن انتهكت حرمت الله لا يقوم لغضبه شيء . اللهم خلقنا بأخلاقه الطاهرة ﷺ .

وقول شيخنا ( واستمع ) أى استمع بالله فى كل أمورك :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده  
وقد أمرنا أن نقول فى كل ركعة ( إياك نعبد وإياك نستعين ) .

قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ) فركننا الاستعانة بالله هما الصبر والصلاة ويطلب أيضاً الاستعانة بالمؤمنين فى مصالح الدنيا والدين مع الاعتماد على رب العالمين .

قال تعالى ( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ) وفى الحديث ( المؤمن للمؤمن كالبئبان يشد بعضه بعضاً )<sup>(٢)</sup> .

(١) احمد وابو داود والحاكم

(٢) البخارى ومسلم والترمذى والنسائى



وقال الشيخ السيد محمد عبد الرحيم :

في عون أخيك فيمكن شهما تلسق المعوان ولم تَضْمِ  
وقول شيخنا ( واستهد ) اطلب الهدى من الله فلا مهدي إلا من هداه  
الله . قال تعالى ( من يهد الله فهو المهتد ) ونحن نقول في كل ركعة ( اهدنا  
الصراط المستقيم ) ورسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم خير هادي إلى  
الصراط المستقيم .

قال تعالى مخاطباً له ( ولأنك تهدي إلى صراط مستقيم ) أى تدل عليه  
وترشد إليه أما خلق الهداية في القلوب فليست إلا بيد علام الغيوب . قال  
تعالى ( لأنك لا تهدي من أحببت ولاكن الله يهدي من يشاء ) . وعليك  
أن تقتصرع إلى الله في طلب الهداية مسترشداً بالشيخ الناصح ، والأخ  
الصالح .

اللهم اهدنا بهداك وبلغنا رضاك يا غنى يا كريم .

وقول شيخنا : ( واستقم ) أى الزم الاستقامة وهي متابعة النبي ﷺ  
في الأقوال والأفعال مع المداومة على ذلك حتى الموت وهي أجل نعمة في  
الوجود وخير ما تطلبه من الله ما هو طالبه منك ، وهو يطلب منك  
الاستقامة لمصلحتك لأنه الغنى على الإطلاق . ومن قرأ هذه الآية ولم ينهض  
للاستقامة فهو جهول مخذول وهي قوله تعالى ( إن الذين قالوا ربنا الله ثم  
استقاموا ننزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي  
كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) الآيات .

تأمل يا أخى في هذه تجد سعادة الدنيا والآخرة وشرف الدنيا والآخرة  
في الاستقامة ومن لم يفهم ذلك فلا فهم شيئاً . وتأمل الصحابي الذي قال :  
يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ؟ قال : قل  
آمنت بالله ثم استقم ) رواه مسلم .

والاستقامة خير من ألف ألف كرامة وسمعت بأذن من الشيخ سلامة

العزামী وكان من العلماء العاملين والاولياء الصالحين في درس كان يلقيه في مسجد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه قال : حكى أن راهباً كان يعلو في الهواء خطوات ويعتبر ذلك من باب السحر وكان تلامذته مفتونين بذلك ومر عليه أحد المسلمين الصالحين ومعه تلامذته فرأوا ذلك فنظر التلامذة المسلمون إلى شيخهم فعرف نظرتهم يعنون كيف يستطيع هذا أن يطير في الهواء مع أنه على الباطل فتقدم الشيخ وأشار إلى حذاء ملقى على الأرض ، فطار الحذاء على رأس القسيس وصار يضربه على رأسه حتى ألصقه بالأرض ليقيم التلامذة المسلمون أن أمور الدجل والشعوذة لا يلتفت إليها .

والمدار كله على الاستقامة أجمع على ذلك جميع المشايخ والصالحين ، وقال قائلهم لو رأيت الرجل يتربع في الهواء فلانبالوا به حتى تنظروا إلى استقامته مع الشرع والدين .

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى : إذا وجدتم الفقير أى من انتسب إلى الصالحين لا يحضر في أوقات الصلوات الخمس فلا تبالوا به . ويجب أن نلتزم الاستقامة حتى نموت عليها .

وما يتظاهر به بعض الدجالين من الدروشة مع إهمالهم الصلاة ، ويدعون أنهم سقطت عنهم الصلاة لحالة بينهم وبين الله وعقولهم حاضرة فهو كذب ودجل وكفر يخلدون به في النار إذا لم يتوبوا قال شيخنا في عقيدته عقيدة أهل السنة وأهل الجنة :

ومن يقل ولم يُجَنَّ سقطا

تَكْلِفُهُ - فَإِنَّهُ قَدْ سَقَطَا

وإنه شَرٌّ من الكفار

وما له إلا خلود النار

اللهم من علينا بالاستقامة حتى نموت عليها يارب العالمين .

قال شيخنا رضى الله عنه :

(واسهر وجع واعتزل واصمت ورج وخف

واذكر وفكر وراقب واسم واحتشم)

سبحان الله ذكر شيخنا في هذا البيت أركان الطريق التي أجمع عليها أهل التحقيق وهى السهر والجوع والاعتزال والصمت ، فمن رغب فى طريق الله لا بد له من هذه الأمور ، ولا خير فى الحياة إذا لم نسلك الطريق إلى الله :

على نفسه فليبك من ضاع عمره  
وليس له فيها نصيب ولا سهم

والسهر يكون فى طاعة الله كما وصف الله المتقين بقوله تعالى :

(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأصباح هم يستغفرون) .

وقال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب) .

وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

فإذا كان صاحب المقام المحمود لا يصل إلى المقصود إلا بكثرة الركوع والسجود فكيف يطمع فى الوصول من ليس له محصول . وكثرة السهر فى سبيل الله ترقق القلوب وتصل صاحبها بعلام الغيوب وكل سهر فى غير طاعة باطل :

سهر العيون لغير وجهك باطل

وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

(م-٢)

وأقل ذلك أن تصلي العشاء في جماعة والفجر في جماعة . فمن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله كما في الحديث ، وما أحسن الاستغفار في الأسحار . ووقت السحر هو ثلث الليل الآخر يتجلى الله فيه على العباد فلا تحرم نفسك من هذا الشرف العظيم ولو أعطيت الدنيا كلها وحرمت هذا الشرف فأنت محروم .

قال سيدى إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه : وكل من يدعى أنه من الصالحين وهو ينام وقت الأسحار فهو كذاب . فقم في الأسحار وناد الملوك الغفار عسى أن يدخلك مع الأبرار .

ولله در من قال :

تشاغل قوم بدنياهم	وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته	وعن سائر الخلق أغفاهم
يصفون بالليل أقدامهم	وعين المهيمن توعاهم

وقول شيخنا (وجع) لأن الجوع ركن مهم من أركان الطريق وهو مطلوب صراحة بالصيام لأن من أكل كثيراً نام كثيراً ومن نام كثيراً فافقه خير كثير ، وقد قال أهل الطريق لو كان الجوع يباع ، ما كان لأهل الآخرة أن يشتروا سواء ومن كانت همته في ملء بطنه فقيمته ما يخرج منه وأصل الآفات كلها من ملء البطون .

واقرا فضل الجوع في رياض الصالحين ، وفوائده في « إحياء علوم الدين » تجد عجبا .

وكيف كان المصطفى - ﷺ - يجوع ولو سأل الله أن تكون الجبال له ذهباً لكاف البطن عضو إن شبع جاءت الأعضاء وهاجت على المعاصي

وتشاغلت بالباطل وإن جاع شبع الأعضاء وسكنت وهذا أمر لا يشك فيه من عفته ذوق :

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن  
إذا لم يكن فيها معاش لظالم  
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة  
وقد شبع فيها بطون البهائم

وكما قلل الإنسان من الشهوات . وأكثر من الذكر ، والعبادات كان أشبه بالملأئكة وكما أكثر من الشهوات وتل العبادات كان أشبه بالبهائم ، وأقسم بعض الصالحين بأن الله ما صافى أحداً إلا بالجوع ، فإن قلت أن رسول الله ﷺ - قد استعاذ من الجوع وقال : اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، فالجواب والله أعلم أنه استعاذ من الجوع الشديد الاضطرار الذي ليس معه صبر .

أما الجوع عبادة وتريضاً فهو أصل الخيرات كلها ، وخير الأمور أوساها .

قال تعالى : ( واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ) ، ويطلب أن تكون عفيفاً خفيف المئونة يكفيك القليل وما قدم إليك ولو خبزاً بلمح رضيت وشكرت الله ومملك كسرى تغنى عنه كسرة ومن لم يحفظ بطنه لم يحفظ فرجه .

وتأمل الحديث : ( ما ملا ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم لقيمت يقمن صلبه فإن كان فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه (١) حتى قال بعض الأجانب لقد جمع محمد ﷺ الطب كله في كلمة ، فعليك يا أخى بكثرة الصيام تبلغ المرام وفي الحديث (عليك بالصوم فإنه لا مثل له) (٢) .

(١) سنن الترمذى كتاب الزهد باب كراهية كثرة الأكل

(٢) النسائى وابن حبان وأحمد والحاكم

قال شيخنا (واعزل) والعزلة أيضا ركن من أركان الطريق فاجعل لك نصيبا منها بقدر المستطاع ولا تجعل وقتك كله مع الناس فإنهم يقطعونك عن الله وقد نسب إلى إمامنا الشافعي - رضى الله عنه أنه قال :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهديان من قيل وقال  
فابعد عن لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لإصلاح حال

فلا تجلس إلا مع أحد رجلين رجل جلست إليه يعلمك خيرا فتقبل منه أو رجل تعلمه خيرا فيقبل منك والثالث اهرب منه والإسلام خير جليس بل إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر وما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة .

قال شيخنا (واصمت) والاصمت أيضا من أركان الطريق ، وكم فيه من فوائد والمراد الصمت إلا من خير كما قال رسول الله ﷺ (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (١)، وإذا رأيت الرجل يؤثر السكوت على الكلام فاقرب منه فإنه من أهل الحكمة وإذا رأيت الرجل يكثر الكلام بغیر حاجة فاعلم أن قلبه خرب من الحكمة ومعرض لأفات تلقى به في جهنم وبئس المصير، وباللهيتنا نعمل . بقول الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وبالجمله من حفظ لسانه حفظ دينه ومن لم يحفظ لسانه لم يحفظ دينه .

قال بعض العارفين : طلبنا أربعة فوجدناها في أربعة : طلبنا رضا الله فوجدناه في طاعته ، وطلبنا سعة الرزق فوجدناها في صلاة الضحى وطلبنا سلامة الدين فوجدناه في حفظ اللسان . وطلبنا نور القبر فوجدناه في صلاة الليل . وقال سيدنا عمر رضى الله عنه كلمة أغلى من الدنيا وما فيها ، وهى : (ذكر الناس داء وذكر الله شفاء) فتأمل هذه الأربعة فهى أركان الطريق

(١) البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد

كما قال أهل التحقيق :

بيت الولاية قسمت أركانها ساداتنا فيه من الأبدال  
ما بين صمت واعتزال دائماً والجوع والسهر التنزيه الغالى  
بعد ذلك قال شيخنا (ورج وخف) يرشدنا إلى الرجاء والخوف ولا بد  
منهما لكل مؤمن وخاصة من يسلك الطريق إلى الله حتى قالوا لو وزن  
خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهو يرجو الله مهما كانت ذنوبه ولا يياس  
من رحمته أبداً كما يخافه ولو قطع الليل والنهار عبادة .  
والرجاء يكون مع التوبة والعمل ، أما أن يترك العمل ويقول إنه يرجو  
فهو مغرور ومذموم .

ترجو النجاة ولم تسلك سالكها لمن السفينة لا تجرى على اليبس  
إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهله فقال (لأنهم كانوا يسارعون في  
الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) فتأمل .  
وقول سيد الخلق على الإطلاق ﷺ ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم  
له خشية ، (١) .

وقال (أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له) (٢) فكلمنا زاد علم الإنسان  
زاد خوفه من الله قال تعالى (أما يخشى الله من عباده العلماء) وكلمنا ازداد  
جهل الإنسان زادت جرأته على الله فسا أعظم العلم المؤدى إلى خشية الله  
وما أقبح الجهل ولا يرضى به إلا غذول فعليكم بالعلم والعمل ولا خير  
في علم من غير عمل .

قال رسولنا الكريم ﷺ (اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن  
قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها) (٣) .

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب

(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح التعقيب فى النكاح

(٣) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شرها عمل

قال شيخنا (واذكر وفكر وراقب واسم واحتشم) الله أكبر ما هذه الدرر للغالية والحكم السامية إنما نظم شيخنا الخطيب وثمره من حبسه البائع للحبيب ﷺ وكل كلمة منها تحتاج كراسة وحدها حث على الذكر والفكر والمراقبة والسمو والإحتشام .

أما الذكر فالإكلام فيه لا نهاية له كما أن أنوار الذكر لا حدود لها وهو العمدة في الطريق إلى الله وكل القرآن يبحث عليه ويهيج إليه ويرغب فيه ويسكني قوله تعالى ( فاذا كرروني أذكركم ) وقوله تعالى ( ولذكر الله أكبر ) وقوله تعالى ( ألا بذكر الله تطمئن القلوب ) إلى غير ذلك من آيات القرآن التي من سمعها ولم يشتغل بذكر الله فهو كالبهيمة وفي الضلال يهيم .

وأما الأحاديث الشريفة في فضل الذكر فمكتوبة جداً .

ويكفيينا قوله ﷺ لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ) رواه مسلم ، الله أكبر تنبيه يا غافل قبل أن تبكي بدل الدموع الدم على ضياع الوقت في الغفلات وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : لا يبلغ الإنسان حقيقة الإيمان حتى تكون التسيبحة الواحدة أحب إليه من الدنيا جميعاً ، تأمل يا مغرور ولا تترك الدنيا لا تساوي تسيبحة واحدة وأخرس لسانك عن القيل والقال واشغله بذكر الكبير المتعال تبلغ غاية الآمال وقل دائماً كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ) (١) وماذا نقول في الذكر إنه بحر عميق لا قرار له فلا تشبع منه ولا تمل وهو أنواع قرآن وتهليل وتسبيح وتكبير وصلاة وسلام على سيد الأنام ﷺ هنا النعم هنا الشرف هنا الغنى ، ولذة الذكر فوق لذة الملوك بملكهم قال شيخنا في ذلك .

(١) رواه أبووداد كتاب الصلاة باب في الاستغفار . النسائي كتاب

الصلاة باب نوع آخر من الدعاء بعد الذكر



وأدم ذكره على كل حال إنما ذكره طريق الفتوح  
لذة الذكر لو وقفت عليها قالت من لي بها بأهلي وروحي  
وأما الفسك ، فهو أسمى الذكر والذكر باللسان مع غفلة القلب قليل  
الفائدة والفسك مع سكون اللسان ذكر فإذا جمعت بين ذكر اللسان  
والتفكير بالجنسان قلت من الله الرضوان قال تعالى ( ورضوان من الله  
أكبر ) والذكر والفسك يوصلانك إلى مراقبة الله تعالى في كل شيء وهما  
يسمو قدرك ويعلو شأنك وتذكر في الملاء الأعلى وتشق إلى الجنة  
ويستغفر لك الطير في الهواء والحيتان في الماء وتخفى غنى لا فقر بعده  
فأدرك نفسك قبل أن يفجأك الموت .

قال تعالى في وصف أولى الألباب ( ويتفكرون في خلق السموات  
والأرض ) وصلاة ركعتين في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه  
وما دام التفكير فمراقبة الله حاصلة وما دامت المراقبة من العبد فهو في  
سمو وعلو ورفعة لا تحظر ببال وتعجب لفضل الله على شيخنا الخطيب  
زاده الله فضلاً كأن كلامه وحى ( وراقب واسم ) إذ من راقب الله فهو  
في أعلى عليين ومن لم يراقب الله فهو في أسفل سافلين قال تعالى ( يا أيها  
الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير  
بما تعملون ) . سورة الحشر

وقال تعالى ( واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ) .  
وسمو المؤمن ترفعه عن الدنيا والرزائل وتحليه بالمكارم والفضائل .  
وقول شيخنا ( واحتشم ) والاحتشام هو الاستحياء ، والحياء خير كله  
ومن لا حياء فيه لا خير فيه وهو ثمرة المراقبة أيضاً .

وفي الحديث الشريف ( الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا ذهب أحدهما  
ذهب الآخر ) (١) وكان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أشد حياء من  
العذراء في خدرها .

---

(١) البيهقي وأبو نعيم في الحلية والحاكم

وقال عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ( أفلا أستحي من رجل  
والله إن الملائكة لتستحي منه ) كان سيدنا عثمان شديد الحياء فاستحي منه  
رسول الله ﷺ واستحي منه الملائكة .

( البر لا يبلى والذنب لا يفسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين  
تدان (١) ) .

اللهم ارزقنا مراقبتك والحياء منك حتى لا تخطر المعاصي على بالنا يا ذا  
الجلال والإكرام .

قال شيخنا :

وخل نفسك وأصدق في معاملة وارحل إليه تنل خيراً وتنتقم  
كم في هذا البيت من فوائد عظيمة وتنبهات كريمة فقله ( وخل نفسك )  
اترك هواها وأذلها لمولاهما فهي أعظم حجاب بين العبد وربّه فيجب  
بجاهدتها في العبادات وترك الشهوات وعدم الرضا عنها إلى الممات .  
وقد قالوا من ظن أنه بغير بذل الجهد في العبادات يبلغ شيئاً من  
الدرجات فقد رام الخيال .

وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل (٢)، قال تعالى  
( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ) وقال تعالى  
( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ) ،  
حكى عن أبي يزيد أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يارب كيف  
الطريق إليك ؟ فقل خل نفسك وتعال .

وقوله ( واصلدق في معاملة ) فإن الصادق مع الله ينال في لحظة ما لا ينال  
غيره في مائة عام والصدق مع الله هو كل شيء قال تعالى ( فلو صدقوا الله

---

(١) مصنف عبد الرزاق . مرسل

(٢) رواه الترمذى وابن حبان

لسكان خيراً لهم) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والصادق مع الله هو الذى يعبده لا لعله ولا لغرض وإنما يعبدته تعظيماً لجلاله ولا يصرفه عن عبادته شيء مهما كان من جاه أو مال أو فقر وعيال فهو يجعل طعامه الجوع وحديثه المناجاة فيما أن يموت وإما أن يصل إلى الله فما أحسن الصدق فى الأقوال والأفعال .

الصدق فى أقوالنا أقوى لنا والكذب فى أفعالنا أضعف لنا

اللهم اجعلنا من الصادقين يارب العالمين .

وقول شيخنا (وارحل اليه تنسل خيراً وتفتنم) والرحلة إليه بقطع حقبات النفس ومخالفة الشهوات والجد فى جميع الأوقات وبذل الجهد فى العبادات والقصد إليه وحده قال تعالى (ولم يركب فارجب) والله در العارف بالله ابن عطاء الله وهو يقول : لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الآكوان إلى المسكون (وأن إلى ربك المنتهى) .

وتأمل قول سيدى ابن عطاء الله أيضاً وهو يناجى ربه قائلاً (إلهى ماذا وجد من فقدك وما الذى فقدت من وجدك وقال سيدى أبو مدين .

الله قل وذو الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بلوغ كمال فالكل دون الله إن حقيقته عدم على التفصيل والإجمال

فالرحيل إلى الله هو الخير كله وأعظم غنيمة فى الوجود .

اللهم اجمع قلوبنا عليك وطهرها من التعلق بسواك يارب .

قال شيخنا رضى الله عنه :

(وخل همك وجه الله منفرداً تكف الهموم وتبلغ قه القمم)

إن هذا البيت يعمل فى القلوب المؤمنة عمل السحر أى يجذبها إلى الله

والى رفع الهمّة عما سواه فإذا جعلت همك وجه الله وحده كفاك كل  
الهموم وبلغك أعلى القمم وأرفع الدرجات .  
الله ربى لا أريد سواه هل فى الوجود حقيقة إلا هو  
قال تعالى :

(هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

وقامل ما فى الحديث الصحيح ، ( فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله  
فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينسكحها  
فهجرته إلى ما هاجر إليه ) (١) .

وفى الحديث القدسى عن الله عز وجل ( يا ابن آدم تفرع لعبادتي أملا  
صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك )  
رواه الترمذى وغيره .  
قال شيخنا :

( واعبد به بالعلم والإخلاص لهما روح العبادة من فعل ومن كلم )  
جزى الله عنا شيخنا أحسن الجزاء بعدما وجهنا إلى الله وهيجنا على  
عبادته ذكر فى هذا البيت العظيم شرطين عظيمين لا تقبل العبادة بدونهما  
أو بدون واحد منهما وهما العلم والإخلاص . فبالعلم تعرف كيف تعبد الله  
على هدى رسول الله ﷺ والإخلاص وهو أن يقصد بالعمل وجه الله  
وحده بدون أدنى لتفات إلى سواه هو روح العبادات ولا وزن لأى عبادة  
بدونه .

فتأمل هذين الشرطين وهما أن يكون العمل على وفق السنة وأن يقصد  
به وجه الله وحده ولا بد من اجتماع الشرطين . فلا ينفع الإخلاص بدون  
موافقة السنة . ولا موافقة السنة بدون إخلاص

(١) متفق عليه

اللهم وفقنا لاتباع النبي ﷺ قولا وفعلا مع الإخلاص لوجهك الكريم  
يا غنى يا كريم  
قال شيخنا :

( وفيه جاهد تشاهد ما أعد لمن في الله قد جاهدوا من فضل ربهم )  
وفي هذا البيت يحثنا شيخنا على المجاهدة في الله . قال تعالى : (والذين  
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين )

وقد جرت سنة الله تعالى على أن يكون منال الإنسان بقدر جهاده وأن  
تكون منزلته عند الله بقدر تضحيته في سبيله وتحمله من أجله ولو كان  
الشيء الغالي ينال بدون تعب لنساوى التبر والتراب واختلت القيم ولكن  
(على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم)

وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري (وما تقرب إلى عبدي بشيء  
أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه  
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي  
يمطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)  
استعاذني روى بالغون والياء .

وكان ﷺ يقوم من الليل حتى تورمت قدماه وكان لا ينام قلبه وإن  
فامت عيناه وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يشم من فيه رائحة  
السكيد المشوى من مخافة الله وكان سيدنا عمر لا يستريح ليلا ولا نهارا ويقول  
أنا إن نمت بالليل أضعت نفسي وإن نمت بالنهار أضعت الرعية فكان  
لا ينام ليلا ولا نهاراً إلا لحظات أو خفقات . وكان سيدنا عثمان يقرأ  
القرآن في صلاة الليل . والإمام علي يقوم في الظلام والناس نيام ويبكي  
ويقول يادنيا غري غري قد طمعتك ثلاثا فعمرك قصير وخطرك حقير  
آه من قلة الزاد وبعد السفر . وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله

عنه إذا غلبه النوم يقوم ويجول في صحن داره وهو يقول :  
وكيف تنام العين وهى قريرة ولم تدر فى أى المحلين تنزل

وكان يجمع الفقهاء والقراء فى الليل يتفكرون الموت ويبكون حتى  
كان بين أيديهم جنازة . وذكروا عن الإمام أبى حنيفة أنه صلى الفجر  
بوضوء العشاء أربعين سنة . والإمام أحمد كان يصلى فى كل ليلة ثلاثمائة  
ركعة . والإمام الشافعى يقسم الليل أثلاثا ثلثا للعلم وثلثا للنوم وثلثا  
للصلاة . وكان الإمام مالك آية فى الاجتهاد وكثيرا ما كان يرى رسول  
الله ﷺ كل ليلة فى المنام رضى الله عنهم أجمعين .

فإن أردت أن تنال مثل ما نالوا لجاهد مثل ما جاهدوا .

ولعله قد وضح قول شيخنا رضى الله عنه :

( وفيه جاهد تشاهد ما أعد لمن

فى الله قد جاهدوا من فضل ربهم )

قال شيخنا بعد ذلك فى قصيدته الميمونة التى أكتب حولها :

( وعانف النفس واحذر مكرها أبداً

فقد قدس وحى السم فى الدسم )

وفى هذا البيت يرشدنا شيخنا إلى مخالفة النفس والحذر من مكرها فقد  
قدس أى تخفى وحى أى سريع الموت من السم فى الدسم أى السمين من  
الطعام ، فلو قدم طعام شئى وفيه سم خفى لإنسان جاهل بدس هذا السم  
فيه لبادر إلى تناوله ولهلك ، وأما العالم بذلك فإنه لا يتناوله وبذلك يسلم  
ويغنى . فالعالم بآفات النفس يخالفها ولا يوافقها ويجاهدها ولا يهادنها وبذلك  
يسعد سعادة لا تخطر ببال .

والجاهل يتبع نفسه وهواه فيخسر دنياه وأخراه خسارة لا تتحملها  
الجبال .

فتأمل مثلاً الذين يطيعون أنفسهم في لذة النوم ويتركون صلاة الفجر كم يحرمون من عظيم الأجر وهذا من جهلهم وغباوتهم . شيء يرغب الله فيه ورسوله صلى الله عليه وسلم ينامون عنه ويزهدون فيه مع أنهم يتهافون على النجاسات ويتكالبون على القذارات . كما يتهافت الذباب على الجيفة وتأمل كلام الحق جل جلاله (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) وقرآن الفجر أى صلاة الفجر (كان مشهوداً) أى تشهده الملائكة وتحضره .

وقال رسول الله ﷺ ( ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ) رواه مسلم وهذا في ركعتي السنة قبالكم بالفرض . فيا أيها الناس فذكروا ولا تلهوا عقولكم إن كنتم مؤمنين . ولو عرفت أنك لو قمت لصلاة الفجر أخذت عشرين جنياً مثلاً ما تكاسات عنها . فهل هناك غباوة بعد هذه الغباوة . وتأمل يا أخى ما فى صحيح البخارى ( ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا ) والعتمة صلاة العشاء . يدل ذلك على أن الذين ينامون عن صلاة الفجر جهالة ولو كانوا فى صورة علماء لأن العلم ليس بكثرة الرواية والحفظ ولكن العلم نور يضعه الله فى قلب من أحب من عباده كما قال الامام مالك رضى الله عنه فهنيئاً لمن حافظ على الصلوات الخمس فى أوقاتها واهتم كل الاهتمام بها وصلى العشاء جماعة والفجر جماعة وكان السالف الصالح يعززون أنفسهم بفوات تكبيرة الإحرام مع الإمام ثلاثة أيام ويقولون فى التعزية ( ليس المصاب من فقد الأحباب إنما المصاب من حرم الثواب ) .

وتأمل أيضاً الذين يطيعون أنفسهم ويشربون الدخان والحشيش والبوظة والخور وبأكلون الربا ويشهدون الزور ويسمعون الأغاني ويعرضون عن القرآن ويسمرون فى الغفلات وينامون عن الصلوات وهم رأيت بعينى أوباشاً من الناس على مقهى أمام مسجد القرآن يقرأوا الأذان يعللهم يملعون الضمن والطاولة وهم نبهتهم وكأنهم أموات .

لقد أسمعته إذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

قال كعب الأحبار والله إنى لأجد صفة المنافقين فى كتاب الله عز وجل شرابين للقهوات تراكين للصلوات لعابين بالسكيات رقادين عن العتبات مفراطين فى الغدوات تراكين للجتماعات ، وتأمل أيضا النسوة والبنات اللاتي أظعن أنفسهن نخلعن برقع الحياء وخرجن فى الشوارع والفواذى متزينات متكشفات كأنهن يهوديات ولسن بمسلمات فعلمهن اللعنات وعلى آبائهن وأزواجهن الذين يرضون بهذه المنكرات .

ولو وجد الرجال بمعنى الكلمة لما كانت هذه الموبقات . فالرجل ليس رجلا بقوة عضلاته وشاربه ولسكن بهيمته وغيرته والمؤمن غيور يخشى غضب الجبار ، قبح الله من لا يغاز . كل هذه المنكرات وأكثر وأكثر بسبب طاعة النفس قال تعالى ( قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ) .

زكاها : أدبها وذهبها وخالفها وأوقفها عند حدود الله ،  
ودساها : نقصها وتركها فى عيوبها ودنائها ،  
وكان رسولنا الكريم أطهر العالمين نفساً صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول :

اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (١)  
وأعله قد وضع قول شيخنا :  
( وخالف النفس واحذر مكرها أبداً

فقد تفسد وحى السم فى الدم

بعد ذلك قال شيخنا :

( وأعطا حظها المشروع تقو به  
على المسير وإن تحسمه تنحسم )

(١) رواه مسلم



وأقول أن شيخنا العظيم وإمامنا الكريم بعد ما أمرنا بمخالفة النفس والحذر من مكرها أرشدنا إلى إعطاء النفس حظها ولعله يريد حقها. بدليل قوله المشروع : وللنفس حق فمن منعها حقها فقد ظلمها.

وما أشنع الظلم عموماً كما في الحديث ( لا تقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ) رواه مسلم .

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال : ما شألك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له كل فأني صائم قال : ما أنا بأكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نيم فنام ثم ذهب يقوم فقال له : نيم فلما كان آخر الليل قال سلمان قم الآن فصلباً جميعاً فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه فأخى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ صدق سلمان رواه البخاري .

ولسان حال النفس يقول كن معي في بعض أغراضى وإلا صرعتك ، ومعروف أنها الأغراض الشرعية ، واعتبر النفس كالدابة التي تسافر عليها إلى المطلوب فإن أجهدها فوق استطاعتها ومنعتها حقها من الراحة والطعام والشراب انقطعت بك وإن أرحتها في بعض المواطن وأعطيها ما تقوى به على المسير وصلت بك إلى مطلوبك فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى وهذا ما يفيد شيخنا بقوله ( وإن تحسسه تنحسم ) أي إن قطعت حقها عنها تنقطع عن السير وليمكن ذلك الحق بقدر الحاجة أو الضرورة كما سبق في فضل الجوع لأن اتباع الشهوات مصيبة المصيبات .

قال بعض العارفين من المحال أن تجد لذة الطاعات وأنت تتناول الشهوات .

وحقق الشيخ أبو حامد الغزالي بأن الطريق إلى الله هو ترك الشهوات وقالوا من صدق الله في تركه الشهوات خدمته الأكوان في الحياة والممات ولا شك أن الأكوان لا تخدم في الحياة والممات إلا من كان وليا لله عالم الخفيات .

وقد اتفق أرباب الطريق على أن الفقير إذا كان محبا للشهوات لا يجي منه شيء لأن المرید الشهواني أبداً يركن إلى الفسادی والراكن إلى الفانی لا يصل أبداً إلى الباقي ولا زال السلف والخلف يحذرون المرید من الشهوات خشية الوقوع في البليات الموجبة للغفلات ، أوحى الله إلى داود عليه السلام وقال له حذر وأقذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عنى محجوبة .

وقد قيل إن الشهوة زمام الشيطان من أخذها كان عبده ومن أراد صفوة قلبه فليؤثر الله على شهوته وقد تقرر عند الفضلاء من أهل الطريق أن ما زاد على الخبز فهو شهوة .

اللهم انزع من قلوبنا حب الشهوات واملأها بحبك وذكرك يا ذا الجلال والإكرام . اللهم آمين .

وأرجو أن يكون قد وضح قول شيخنا :

وأعطها حظها المشروع تقو به  
على المسير وإن تحسمه تنحسم

بعد ذلك قال رضى الله عنه :

وصم عن السكون حبا في مكنونه واستغفرته وفي مشروعه أقم  
واقطع نهارك بالتقوى وقم سحراً  
فكم لربك في الأسحار من كرم

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه

سبحانه عن صفات الخلق كلهم

— ٣٣ —

يا راغباً نعمى ياراهباً نغمى يا سائلاً كرمى ينهل كالديم  
إلى ولٍّ وعن غيرى تولٍّ وكن  
عبدى أصير لك الدنيا من الخدم

الله أكبر سبحان من أعطى شيخنا هذا البيان حقاً (إن من الشعر  
حكمة) (١) ودون من البيان لسحراً ذكرت هذه الآيات مجتمعة لارتباطها  
البديع وسيرها السريع إلى القلوب لتجذبها إلى علام الغيوب .

فجزى الله عنا شيخنا أحسن الجزاء اسمع قوله :

واقطع نهارك بالتقوى وقم سحراً تجد نفسك تمايلت طرباً .

وقل للأغبياء المفتونين بسماع الأغاني والألحان تعالوا إسمعوا هذا

البيان :

وصم عن الكون حبا في مكوّنه واستغفرنه وفي مشروعه أقم

أى أمسك عن الكون ولا تتعلق به فهو لا شيء اشتغالا . يجب مكوّنه  
فحب الله ينسى ماسواه قال تعالى ( كل شيء هالك إلا وجهه ) وقال رسول  
الله ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

د ألا كل شيء ما خلا الله باطل (٢)

وقال أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : إننا لننظر إلى الله ببصر الإيمان  
والإيقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى  
الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراهم وإن كان ولا بد فنراهم كاهلياء  
فى الهواء إن فقتشتهم لم تجدهم شيئا ويعجبني قول سيدى ابن عطاء الله السكندرى  
رضى الله عنه ( أنت مع الأكوان ما لم تشهد المسكون فإذا شهدته كانت

(١) البخارى كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والترمذى وعند

أبي داود أن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما ، وهو مرفوع فيهما

(٢) البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه

(م-٣)

الآ كوان معك ( ونفهم من ذلك أنك إذا تعلقت بالآ كوان ورغبت فيها  
أذلتك واستعصت عليك وشغلتك عما يجب عليك وهي فانية :  
وتأبى الهممة العالية أن تركز إلى الفانى . أما إذا تعلقت بالله وأعرضت .  
عما سواه فقد أغناك عما سواه وكافت الأشياء هي التي تطلبك وتتذلل  
لك وأنت في غنى عنها بخالقها والله در من قال منذ صرفنا همنا إلى الله أغنانا  
عما سواه .

وقال آخر إلزم بابا واحدا لا لتفتح لك الأبواب تفتح لك الأبواب  
واخضع لسيد واحد لا لتخضع لك الرقاب تخضع لك الرقاب وقول شيخنا  
( استغفره ) أى اطلب منه المغفرة مهما كنت مجتهدا في العبادة وأكثر  
من الاستغفار آفاه الليل وأطراف النهار قال تعالى : ( وما كان الله ليعذبهم )  
وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ) .

وقال رسول الله ﷺ ( والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم  
أكثر من سبعين مرة ) (١) والكلام في الاستغفار كثير فأكثر منه .

وقول شيخنا ( وفي مشروعه أقم ) أى ألزم الشرع الشريف وتمسك  
به ولا تخرج عنه قال تعالى ( والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة  
لأننا لانضيق أجر المصلحين ) .

وفى الحديث ( من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد ) (٢)  
وشيخنا شديد التمسك بالكتاب والسنة ويحث على ذلك ويكره شطحات  
بعض الصوفية الخارجة عن السنة قال : ( واقطع نهارك ) إقضى نهارك كله  
وأنت ملتزم بتقوى الله في حرركاتك وسكناتك وبيعك وشرائك ، حتى

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البيهقى . وهو عند الطبرانى فى الأوسط . بلفظ : التمسك ،  
وبدون « مائة » ،

لا تجنح إلى معصية ولا تسترعى إلى شهوة فإن فعلت ذلك أكرمك الله بقيام الليل. شكى بعض التلامذة إلى شيخه أنه يكسل عن قيام الليل فقال: لا تعص ربك بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل، وهذا حق لأن الطاعة تجر إلى الطاعة والمعصية تجر إلى المعصية وبعض الصالحين فاتته صلاة الفجر يوماً فبكى وقال لا بد أني عصيت الله فخرمني من صلاة الفجر ونوى الصيام وحرم نفسه من الطعام حيث لم تسعفه في القيام لطاعة الملك العلام والغنى الجاهل يقوم من النوم بعد طوع الشمس فيتناسول الشهوات ويضحك ويفرح كأنه لم يفته شيء ولا تعجب فإن المجنون يرمى الجواهر على المزابيل والمرأة المجنونة يموت وحيداً وهي تضحك وموت الأولاد وذهاب المال أهون من فوات الصلاة .

وفي الحديث من فاتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله، (١) والمقطوع عن ربه مصاب بأكبر المصائب فكيف يفرح ويمرح ولا يبكي على مصيبته .

أما القيام في الأسحار فهو دأب المتقين الأخيار

ولا يتهاون به إلا حمار، ففي صحيح البخارى عن النبي ﷺ قال (أما يخشى أحدكم أو ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار) قيل يمسح حماراً وقيل المسخ معنوى فيكون بليداً كالخمار وهذا فيمن يصلى ولكنه يستعجل وراء الإمام ويخالف النظام فسا بالكم يا كرام بتارك الصلاة أعوذ بالله إن الحمار أحسن منه .

وقد روى في الحديث (فرب مراكوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله منه) رواه الإمام أحمد .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه وهو عند البخارى ومسلم بالغظه الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله ،

وأول الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراعى لحديثكم في الطرق والأسواق قرب مركوبة ، الحديث فتأمل إن كنت عاقلا والغافل عن ذكر الله لا يساوى الضفادع في سنن الناساني عن عبد الله بن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال : « نقيتها تسبيح » فافهم وتأمل قول شيخنا .

« وقم سحرا فكم لربك في الأسحار من كرم »

والسحر هو الجزء الأخير من الليل ينام فيه المحرومون ويستيقظ فيه الموفقون وما أحسن الاستغفار بالأسحار وأقرأ قول الله تعالى من سورة آل عمران من قوله جل جلاله ( زين للناس حب الشهوات ) إلى قوله ( والمستغفرين بالأسحار ) .

أقرأ وفكريا من آمنت بالقرآن وللقيام بالأسحار أثر عظيم في القلوب يطهرها ويزيل قساوتها التي هي أعظم الذنوب والله در من قال :

دواء قلبك خمس عند قسوته قدم عليها تفر بالخير والظفر لإخلاء بطن وقرآن « تدبره » كذا تضرع بك ساعة السحر كذا قيامك جنح الليل أو سطه وأن تجالس أهل الخير والخير

فالعجب للجهل الإنسان عندما يصاب بأدنى مرض في جسده يسرع إلى الطبيب ويبدل له المسال ويشكره ، وهو مصاب بأكبر الأمراض في قلبه وهو لا يشعر بذلك بل يعمل على زيادة مرضه مع أن مرض القلوب أضر ألف مرة من مرض الأجساد فإن كان مرض الجسد تفقد به لذة الدنيا الفانية فإن مرض القلوب تفقد به حلاوة الإيمان ويبعدك عن علام الغيوب فهو أعظم المصائب وأكبر الذنوب قال تعالى ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ) (١) .

(١) الآية ١٠ من سورة البقرة

وقال تعالى (فيطمع الذى فى قلبه مرض) (١) فصاحب الجسم الضخم مع القلب المريض بحب الدنيا رمة من الرمم ولا يبالى الله به لأن القلوب هى موضع نظر علام الغيوب فكيف تحسن موضع نظر الناس وتهمل موضع نظر الرب جل جلاله ، فإذا سئلت يوم القيامة من قبل الحق جل جلاله وقال لك عيسى طهرت منظر الخلق سنين فهل طهرت منظرى ساعة ؟ وما وزنك لو عظمت فى نظر النساء والجملة وسقطت من نظر الله تعالى إن رضيت بذلك كنت من أخس الأخساء فاحرص أن تكون وجهها عند الله تعالى وذلك بسلامة قلبك قال تعالى ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) (٢) .

ومن حكم شيخنا الخطيب :

إن الواجهة لا تكون واجهة ما لم تكن عند الذى أنشأها  
فالؤمنون الصادقون يهتمون كل الاهتمام بقلوبهم لأنها موضع نظر ربهم ويعملون على ما يحبها ويتعدون عما يميمها .  
والذى يحبها الطاعة لله وكثرة ذكره ويميتها المعصية والغفلة عن ذكره .  
وفى الحديث الشريف « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت » (٣)

وقد ذكر شيخنا الخطيب بعض الأشياء التى تميمت القلوب وذكر علامة موته فى قوله :

(١) الآية ٣٢ من سررة الأحزاب

(٢) الآية (٨٧-٨٩) من سورة الشعراء

(٣) رواه البخارى . وهو عند البخارى ومسلم بلفظ « مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت »

- ٢٨ -

يميت الفؤاد الحى دائم خلطة لائق وعصيان وحق ومترف  
وما مسوته إلا ذهاب تأثر بإهمال مفروض وإتيان متلف

فأفهم وأبتعد عن كل شيء يفسد القلوب وأحرص على كل شيء يصلحها  
ومن أهم ما يصلح القلوب القيام بالأسحار ونعود إلى قصيدة شيخنا :  
(وقم سحرا فكم لربك فى الاسحار من كرم)  
وتأمل قوله بعد ذلك :

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه  
سبحانه عن صفات الخلق كلهم

يشير شيخنا إلى الحديث العظيم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول  
الله ﷺ قال : « ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى  
ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من  
يستغفرني فأغفر له ، رواه الجماعة . قل لى بربك أى عقل كريم يرضى أن  
يحرم نفسه من هذا الخير العظيم وينام كأنه بهيمة . ولما كان نزول ربنا فى  
الحديث نزولا يليق بجلالة منزلها عن الحركة والانتقال والجسمية والمكانية  
قال : بلا شبه ، وسئل عنه الإمام مالك رضى الله عنه فقال هو نزول رحمة  
لا نزول نقلة لأن الله ليس كمثله شيء قال شيخنا ( بلا شبه سبحانه ) ولعل  
بيته من القصيدة المباركة قد وضع وهو :

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه  
سبحانه عن صفات الخلق كلهم

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . آمنت بما جاء فى  
كتاب الله على مراد الله وآمنت بما جاء فى كلام رسول الله ﷺ على  
مراد رسول الله ﷺ كما قال إمامنا الشافعى رضى الله عنه .



تعالوا بنا إلى كلام شيخنا لنفترف من بحار علمه وحكمته زاده الله علما  
وحكمة قال :

يا راغباً نعمى ياراهباً نغمى  
يا سائلاً كرمى ينهل كالديم

يا من ترغب نعم الله وتخاف نقمه وبلاءه وتسأله كرمه في وقت السحر  
الذي ينصب عليك كالديم أى المطر الكثير المتتابع فسكرم الله وعطاؤه  
في وقت السحر لا حدود له .

يا غافلاً أدرك الموت لمن لم تبادر فهو الفوت

واسمع قول شيخنا بعد هذا عن نداء ربنا في وقت السحر :

إلىَّ ولَّ وعن غيري تولَّ وكن  
عبدى أصير لك الدنيا من الخدم

« إلى ول » أى أقبل على وعن غيري تول أى أعرض وكن عبدى

ومعنى هذا أنك إن أقبلت على الله وأعرضت عما سواه وكنت صادقاً  
في العبودية له جعل الدنيا في خدمتك ولكن لا تقصد بعبوديتك أن  
تكون الدنيا في خدمتك لأن مطلب العارفين من ربهم إنما هو الصدق  
في العبودية والقيام بحقوق الرؤية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء  
مع نفس قال سيدى أبو مسدين رضى الله عنه « شتان بين من همته الخور  
والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور، ومن دعاء سيدى  
أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه « اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالنذل  
حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك ففسألك  
بدله ذلاً تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك ففسألك عوضه

— ٤٠ —

فقدنا تصحبه أنوار محبتك فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته  
وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكة فهب لنا من مواهب السعداء واعصمنا  
من موارد الأشقياء

وفى هذا المعنى قال شيخنا بعد ذلك :

وابذل لى النفس والدارين كلهما  
وما هويت تكن عبيدى على قدم

أى ابذل نفسك والدنيا والآخرة وهواك فى طلب مولاك تكن على  
قدم العبودية لله وهى أشرف مطلب وأعلى منال ولشيخنا فى ذلك قصيدة  
أخرى اسمها الربوبية والعبودية الخالصة وجزاؤها وهى آية فى الإبداع  
تشغف الاسماع وتشكر القلوب بحب علام الغيوب ومطلعها .

أخلص هوى الذات الكريمة لإنها  
لجلالها لا تقبل الإشرাকা  
واخضع لها كل الخضوع تقربا  
واجعل لها الفعل الجميل شراكا  
أبدى الرضا مهما رمتك بسهمها  
وكان مراً بلائها حلواكا  
وابذل لها الدنيا ونفسك والهوى  
مستصغرا تلك الثلاث عساكا  
مهما جفتك فقف على عتباتها  
متراميا ذلا عسى ترضاكا  
يطع أمرها رُم برها خب مكرها  
صن مَرَّها قدّم لها أخراكا  
كن عبدًا قف عندها صن عهدا  
خف ردّها وارفض لذيد كراكا

سبحان الله أردت أن اكتب بيتا أو بيتين فإذا بحلاوتها تجذبني حتى  
كتبت هذه الأبيات السبعة من أولها رجا أن ينجينا الله من أبواب جهنم  
السبعة وآخر هذه القصيدة أحلى من أولها وكل بيت منها يجذبك للذي بعده  
فإذا أردتها كلها فهي في بشرى العاشقين لشيخنا رضى الله عنه وفي إتحاف  
الآخيار أيضاً الطبعة الأخيرة فاحفظها وذكّر بها نفسك وشوقها وهيجهما إلى  
الذات العلمية القدسية .

يارب اجذبنا إليك وحققنا بصدق العبودية بين يديك اللهم آمين  
وتعالوا بنا يا أحباب إلى قول شيخنا منها إلى فضل نبينا ﷺ .

وأحمد لأحمد من مد الوجود ومن  
عليه فضلى غدا في غايَةِ العظم

بعد ما وجهنا شيخنا إلى ربنا ووصف لنا الطريق إليه أبلغ وصف شرع  
يعرفنا بفضل نبينا ﷺ فقال ( وأحمد لأحمد ) أى امدح وأثن عليه والحمد  
أبلغ من الشكر ولشيخنا في مدح نبينا ﷺ مدائح كريمة وقصائد عظيمة  
تدهش العقول وتزيد قلوب المؤمنين محبة للرسول ﷺ ولم أر في زماننا من  
بلغ في مدح نبينا ﷺ ما بلغه شيخنا وقرأ الروضات والرباعيات له تهم  
في حب سيد الكائنات ﷺ ، وقصيدة نفحة القبول في مدح الرسول ﷺ  
التي أولها (أمير الأنبياء لزممت بابك) آية من آيات الله في الحسن والترتيب  
وهي مرتبة على حسب الحروف الأبجدية فاحفظها يامن تريد المراتب العلمية  
ومثلها في الحسن أو تزيد قصيدة روضة المحبين في مدح سيد المرسلين ﷺ  
وغيرها وغيرها مما فتح الله به على شيخنا رضى الله عنه ولذلك سمى نفسه  
شاعر النبي ﷺ وقال :

شعري عليك وقفت يا علم الهدى  
فله بعزك عزة الأطواد

— ٤٢ —

وقال أيضاً :

مدحتُهُ بل به مدحى مدحتُ ومن  
 يمدح إمام الورى يُفلح وَيُنتَمِ  
 وليس لى ماربُّ إلا شفاعة  
 وأن أرى جاره فى ساحة الكرم  
 وطالما نال بالأمداح مادحُه  
 وصلا بغير مديح فيه لم يُرمِ  
 وحقا نال شيخنا وصلا عظيما من رسول الله ﷺ فكم رآه فى المنام  
 حتى فى صباه وقال :

(وكم أرانيه جل الله فى الحلم) . ورغب فيها هو أكثر من ذلك .

وقال :

مفى نفسى أيا خير الأنام  
 أراك بيقطى مثل المنام  
 فسل مولاك يا نور الظلام  
 يؤهلنى لشاىخ ذا المقام  
 وكم رأينا من العلامات الدالة على أنه بلغ ذلك المقام بلغه الله أعلى مقام  
 وزاد به نفع الإسلام وجزاه الله هنا أحسن الجزاء وأجل العطاء .  
 اللهم آمين .

وأحمد اسم من أسماء نبينا العظيم ومعناه أنه أحمد الحامدين لله أى أكثرهم  
 حمداً لله وأسبقهم أيضاً إلى حمد الله وهو مذكور فى القرآن الكريم  
 وفى الكتب السابقة قال تعالى حاكيا عن سيدنا عيسى عليه السلام : (ومبشراً

برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (١) و كذلك بشرت به السكتب المنزلة  
كلها قال شيخنا :

ما من كتاب منزل إلا به  
بشرى الوجود بأحمد الحمد

واسمه أيضا محمد ﷺ ومعناه المحمود حمداً متكرراً وقال ﷺ (إن  
لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب  
والعاقب الذى ليس بعده نبي) رواه البخارى ومسلم وأماؤه ﷺ كثيرة  
وكثرة الأسماء تدل على عظم المسمى وكلها أوصاف تدل على مدحه  
وفضله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه .

قال الحافظ السيوطى : ألقت كتابا فى شرح أسمائه السكرية أوردت  
فيها ثلاثمائة وأربعين اسما مأخوذة من القرآن والأحاديث والسكتب القديمة  
وأوصلها بعضهم إلى ألف اسم وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى  
بنحو من ثلاثين اسما بعد ذلك قال شيخنا رضى الله عنه :

وإشكره إذ نعمى الكبرى على يده  
سرت لىك وإن تشكر له تدم

أى اشكر رسول الله ﷺ بعد شكر الله جلا جلاله لأن الله أمرنا أن  
نشكر من كان سبباً فى نفعنا قال تعالى :

( أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ) (٢) وفى الحديث ( من لم يشكر  
الناس لم يشكر الله ) رواه الترمذى وحسنه ، والمقصود ( الناس ) المحسنين .

(١) الآية ٦ من سورة الصف .

(٢) سورة لقمان آية ١٤

وأهل المروءات فكيف بشكر سيد الكائنات صلوات الله وسلامه عليه وجزاه  
عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته وقد جعله الله سببا في كل خير وسعادة. قال  
شيخنا (واشكره إذ نعمى الكبرى) مثل القرآن والإيمان ومعرفة الديان  
على يده سرت إليك أي وإلى غيرك قال تعالى مخاطبا سيد المرسلين (وما أرسلناك  
إلا رحمة للعالمين) (١) ﷺ قال شيخنا (وإن تشكر له تدم) لأن شكر  
رسول الله ﷺ شكر لله وطاعته طاعة لله ومحبته محبة لله ومبايعته مبايعة  
لله قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٢) وقال : (قل إن كنتم  
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (٣) وقال : (إن الذين يباعدونك إنما يباعدون  
الله) (٤) ، وقال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) (٥) فزيادة النعم ودوامها  
بشكر رسول الله ﷺ وبذلك وضح قول شيخنا وهو أوضح من  
الشمس :

واشكره إذ نعمى الكبرى على يده  
سرت إليك وإن تشكر له تدم

وللعارف بالله سيدي عبد السلام بن بشيش رضى الله عنه صيغة في  
الصلاة على رسول الله ﷺ كان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه  
يجها لأنها عظيمة وكريمة وأنا كذلك أحبها وأذكرها بتماها لمناسبتها  
لقول شيخنا من قصيدته الميمونة التي أتشرف بالكلام حولها وهذه هي  
الصيغة العظيمة د اللهم صل على من منه افشقت الأمور وانفلقت الأنوار

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٢) سورة النساء (٨٠)

(٣) سورة آل عمران (٣١)

(٤) سورة الفجر (١٠)

(٥) سورة إبراهيم (٧)

وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاملت الفهوم فلم يدركه متنا ساقى ولا لاحق فرياض المسكوت بزهر جماله موفقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط : صلاة تليق بك منك لإيه كما هو أهله اللهم إنه سر ك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك اللهم الحقنى بنسبه وحققنى بحسبه وعرفنى لإياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من مواهب الفضل واحملنى على سبيله إلى حضرتك حملا محفوظا بنصرتك وأقذفنى على الباطل فأدمغه وزجنى فى بحار الأحدية وأغرقتنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها وأجعل الحجاب الأعظم حياة روحى وروحه سر حقيقى وحقيقة جامع عوالمى بتحقيق الحق الأول يا أوليا آخر يا ظاهر يا باطن اسمع نداءى بما سمعت به نداء عبدك زكريا وانصرتنى بك لك وأيدنى بك لك وأجمع بينى وبينك وحل بينى وبين غيرك الله الله الله ( إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ) ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى ملنا من أمرنا ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) صلوات الله وسلامه وتحيته ورحمته وبركاته على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر وعدد كلمات ربنا التامات المباركات ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ) قال شيخنا رضى الله عنه :

ولا تغرنك الدنيا وبهجتها

فإنها والذى فيها إلى عدم

كان كلام شيخنا نور من النور لأنه يعبر عن معنى آيات من القرآن الكريم قال تعالى : دياها الناس إن وعد الله حق فلا تغروكم الحياة الدنيا ولا يغروكم بالله الغرور، (١) .

وقال تعالى : لكل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (٢) .

وقال تعالى : ممن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون (٣) .

تأمل هل خرج كلام شيخنا عن معنى هذه الآيات إنها تؤيده وكذلك السنة الكريمة قال رسول الله ﷺ : إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ، متفق عليه .

وقال ﷺ : إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، رواه مسلم وقال أيضاً ﷺ ( اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ) متفق عليه وغير ذلك كثير وكثير فقل يركن بعد ذلك إلى الدنيا إلا حقير والركون إليها من معنى الغرور بها قال بعض العارفين : من ركن إلى الدنيا صار رمادا تذروه الرياح .

وقال آخر : الدنيا من بله وجمع الكلاب ( يقصد الكفار والفجار ) وأقل من الكلب من عكف عليها فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف والمحب

---

(١) سورة فاطر ٥

(٢) سورة الرحمن ٣٥-٢٦

(٣) سورة هود ١٥-١٦



لها لا يزالها بحال . بل يصير متعلقا بها حتى عند موته والعياذ بالله ذكروا  
عن بعض المشغولين بالدنيا وكان بائعا بصيغ في سوقه يا كذا بكذا  
مشغولا لا يهدأ ولا يذكر الله ولا يهتم بالصلاة .

فلما كان عند موته لقنه بعضهم الشهادة ليسكون آخر كلامه من الدنيا  
لا إله إلا الله فن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة كما  
في الحديث الصحيح (١) ولكن هذا الرجل صار يموت وهو يقول يا كذا بكذا  
فما كان غالبا عليه في حياته غلب عليه عند مماته فاعتبروا يا أولى الأبصار  
وأكثروا من ذكر الواحد القهار لتموتوا على الإسلام .

قال تعالى : **وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ  
مُسْلِمُونَ**، (٢) .

قال سيدي إبراهيم بن آدم رضي الله عنه نزل بي أضياف فعلمت أنهم  
أبدال ( أولياء ) فقلت أوصوني بوصية حتى أخاف الله كخيفتكم فقالوا :  
نوصيك بسبعة أشياء .

أولها : من كثر كلامه فلا تطمع في يقظة قلبه .  
ثانيها : من كثر كلامه فلا تطمع في أن تصل إليه الحكمة .  
ثالثها : من كثر اختلاطه بالناس فلا تطمع في نواله حلاوة العبادة .  
رابعها : من أفرط في حب الدنيا خيف عليه من سوء الخاتمة والعياذ  
بالله تعالى .

خامسها : من كان جاهلا فلا ترج فيه حياة القلب .  
سادسها : من اختار صحبة الظالم فلا ترج فيه استقامة الدين .

(١) رواء أبو دواده وأحمد والحاكم

(٢) سورة آل عمران ١٠٢

سابعها : من طلب رضا الناس فقلبا ينال رضا الله تعالى عنه .

قال شيخنا بعد ذلك :

هي المتاع قليلا فانيسا أ به

تبيع حظك في الآخرة من النعم

يا أخى ألم تسمع قول الله تعالى : دقل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا (١) .

لم يخرج كلام شيخنا عن معنى هذه الآية ألم أقل لك أن كلامه نور من النور وقال تعالى : بالنسبة للآخرة أيضاً مرغبا فيها (وإذا رأيت ثم رأيت نعيها وملسا كبيرا) (٢) .

الله أكبر تأمل يا من آمنت بالقرآن هل بعد هذا البيان تبسيع الآخرة العظيمة الباقية بالدنيا الحقيرة الفانية قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) (٣) .

وقد سبق أن ذكرنا قول النبي ﷺ : «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» وقال ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليعظر به يرجع » رواه مسلم :

إذا وضعت أو غمست أصبعك في البحر المحيط فاعلق به من الماء ما وزنه بالنسبة لهذا البحر الذى لا تدرك له قراراً ولا ترى له شاطئاً كذلك ما وزن متع الدنيا ونعيمها بالنسبة لنعيم الآخرة لاشيء والذى يبيع الآخرة بالدنيا مثله كمثل من معه جوهرة عظيمة تساوى الآلاف من الجنيهات .

(١) من سورة النساء ٧٧

(٢) الآية ٢٠ من سورة الدهر

(٣) الآية ١٦ - ١٧ من سورة الأعلى

فقال له آخر أتبيع هذه الجوهرة بربلة فقال نعم ألا يقال إنه مجنون كذلك كل من يشغل بالدنيا عن العمل للآخرة فهو مجنون ولو كان وزيراً أو أميراً أو مهندساً أو طبيباً ما دامت الدنيا غرقه وشغل بها عن طاعه الله فهو ساقط من نظر الله تعالى .

وهل يرضى عاقل في الوجود أن يسقط من نظر الواحد المعبود وقد جاء في الحديث أن من ترك صلاة متعمدا برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ (١) أي سقط من نظر الله وغضب عليه يا أخى إذا غضبت عليك الحكومة هل يستقر لك قرار أو يهدأ لك بال فكيف ترضى يا مجنون بغضب الواحد القهار ومن حكم شيخنا رضى الله عنه قال :

لا تستقرَّ طريدَ أى حكومةٍ أفستقرُّ طريدَ من سواكا  
تخشى أخطأ عجز ولا تخشى الذى بيديه سعدك كله وشقاساكا

والقرآن الكريم والسنة المطهرة مليئان بما يزهّدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة وليس الزهد في الدنيا بترك العمل وتضييع النفس والتظاهر بمظهر الصالحين من ترك الزينة بل الزهد في الدنيا أن تؤدى لعملك حقه ولو غاب رئيسك أو المفتش لأنك تراقب الله ولا ترضى بالحرّام والزهد في الدنيا ليس بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل هو أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك فإن وسع الله عليك في المال أنفقت ذات اليمين وذات الشمال فيما يرضى الكبير المتعال وإذا أعطاك الله الكفاف فرحت وعلمت أن المصلحة لك في ذلك فقد يوسع الله على عبد في الدنيا وهو عليه غضبان وقد يقتدر على عبد وهو راض عنه كما في الحديث : إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من أحب (١) .

(١) رواه الإمام أحمد

فالدين هو كل شيء. وإذا طلبنا شيئاً من الدنيا فإنما نطلبه لخدمة الدين ويجب علينا معشر المسلمين أن نعيش حياتنا كلها في خدمة الدين حكماً ومحكوماً وما الذين للإنسان إلا سعادة وما الناس لولا الدين إلا بهائم

ففكروا في القرآن والسنة وكلام الأئمة وأهل الحكمة كشيخنا الخطيب واحرصوا كل الحرص على أداء ما أوجب الله عليكم من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك فما أوجب الله عليكم الفرائض إلا لمصلحتكم وهو غنى عنكم وعن العالمين بل هو الغنى بذاته عن ذاته فكيف لا يكون غنياً عن مخلوقاته وإنما أمره لكم بالفرائض هو أمر بدخول الجنة فهل يوجد عاقل يأمره الله بدخول الجنة فيأبى ويرمى بنفسه في النار وهل يرمى بنفسه في النار إلا من هو أقل عقلاً من الحمار إن كان له عقل فاهتموا بالفرائض وابتعدوا كل البعد عن الحرام فإنه نار وذل وصغار وعيب وعار .

ذكر ابن القيم جزاء الله خيراً أن رسول الله ﷺ كان مع بعض أصحابه فرجل مجنون فقال بعضهم مجنون فقال ﷺ لا تقولوا مجنون ولكن قولوا مصاب فإن المجنون من وقع في معاصي الله عز وجل ، والمعنى صحيح وأكثروا بعد ذلك من ذكر الله ،

فبثلاثة أشياء مأخوذة من كلام سيده الأنبياء ﷺ تسكون من أسعد السعداء وهي المحافظة على الفرائض بكل اهتمام والبعد عن كل شيء حرام والإكثار من ذكر الملك العلام .

بعد ذلك قال شيخنا الهمام :

• إياك إياك والأحداث تصحبها

والغيد تسلم فكم في ذين من نعم ،

يحذرننا شيخنا الكريم من صحبة الأحداث وهم صغار السن المرء

فالغلام الأمر قد تكون عليه سمة من جمال فتسكون الفتنة به كفتنة النساء بل أشد لأن الخلوة به ممكنة ، بدون اعتراض وكذلك النظر إليه وكان الصالحون إذا اضطروا لمجالستهم أجلسوهم خلفهم ويأبون جلوسهم في الحلقة خشية الفتنة بهم ،

وكذلك يحذروا من صحبة الغيد . جمع غيداء وهى المرأة الناعمة وما أشد الفتنة بالنساء حتى قال سيد الأنبياء ﷺ كما ثبت في الصحيح « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » (١) وخاصة في هذا الزمان وقد خلع أكثرهن برقع الحياء فالحذر من النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية .

قال تعالى : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ) (٢) .

وقال تعالى : ( يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ) (٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة . العينان زناهما النظر والأذانان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطأ والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه ، (٤) .

فإن سألت عن النظر فجأة بدون قصد فعن جرير رضى الله عنه قال :

(١) متفق عليه .

(٢) الآية ٣٠ من سورة النور .

(٣) الآية ١٩ من سورة غافر .

(٤) رواه مسلم وأبو داود . وأصله متفق عليه .

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : « اصرف بصرك » رواه مسلم .

والأحاديث في ذلك كثيرة وكما يحرم على الرجال النظر إلى النساء .  
لغير حاجة شرعية كذلك يحرم على النساء النظر إلى الرجال لغير حاجة شرعية .

قال تعالى : ( وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن . ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) الآية وهي من سورة النور ياليت نساء المؤمنين يتبنهن لهذه الآية السكرية .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه » فقلنا يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ! فقال النبي ﷺ : « أفعميا وإن أنتما ألستما تبصرانه ؟ » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، قال شيخنا رضي الله عنه :

وإن سببتك الدمي فانظر بفكرك ما  
تغدو إليه الدمي في ظلمة الرجم

ومعنى سببتك أمرتك واستولت على فكرك والدمي هي الصورة من العاج ونحوه أو هي الثياب التي فيها التصاوير أي المرأة الجميلة ذات الثياب المزخرفة وتغدو إليه تصير إليه والرجم الحجارة الضخمة التي تجمع على القبر ليسم .

والمعنى إن أمرتك واستولت على فكرك المرأة الجميلة فانظر بفكرك ما تصير إليه في ظلمة القبر فإنها تتحول إلى جيفة قفرة منتنة تغمض عينيك

حتى لا تنظر إليها وتسد أنفك حتى لا تشم ريحها وتهرب كل الهرب منها بعد  
يوم أو يومين والله در من قال :

حتام لا ترعوى عن عشق فانية  
في منهاها جميع الهم والنصب

ومن نصائح شيخنا الخطيب : لا تترك قلبك العوبة في الميل إلى النساء  
حتى لا تذهب قوة دينك وعزة شرفك وأدب نفسك .

ومن كلام سيدى على وفا رضى الله عنه : من ظفر بسكنز جوهر  
الآلالباب مرفوع الموانع مفتوح الأبواب زهدت والله نفسه في افتراش  
الزبالة وسف التراب وليست الزينة الدنيوية إلا ترايا آيلا إلى الذهاب  
خلقت بمحنة يمتحن بها الصادق في حب الله من الكذاب فمن أحب الله  
تعالى لم تساو الدنيا عنده رجل ذبابة من الذباب بل صغرت عنده الأكوان  
كلها في جانب ذلك الجناب ومن أحب عبادة عبدها فحب الله مخدوم  
لشائر الأحباب لا عبد شيء من هذه الأسباب ولحب الله تخضع الرقاب  
فكيف يخضع لزينة ترابية من له هذا العز المهاب من كرم العلى الأعلى  
الوهاب ( إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وإنا  
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ) (١) .

الصعيد هو التراب القاطع لما تعلق به تعلق اطمئنان واكباب فكان  
من الزاهدين في المظوظ الترابية الجروز فانت عرفت أنك ظفرت بسكنز  
الكنوز . .

---

(١) الآية ٧ ، ٨ من سورة الكهف .

ومن دعاء سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه :

« يا الله يا على يا عظيم يا حلِيم يا حَكِيم يا كريم يا سميع يا قريب  
يا مجيب يا ودود حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم  
العباد وسوء الخلق واغفر لنا ذنوبنا واغفر لنا تبعاتنا واكشف عنا  
السوء ونجنا من الغم واجعل لنا منه مخرجا إنا لك على كل شيء قدير . »

وينسب إلى الإمام علي رضي الله عنه أنه قال : « والله لو أعطيت  
الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نعمة أسألها جلب شعيرة  
ما فعلته وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تفضمها ما لعلني  
ولنعم يفني ولذة لا تبقى . »

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا أعجبت أحداً امرأة فليفكر  
مناقبتها ، وقد ذكر أن رجلاً عشق امرأة فهددها إليها مع طيش فقالت له  
تأمل أمرك أتدري ما تريد أن تصنع إنما تريد أن تبول في بالوعة لو  
شاهدت داخلها لوجدته أنتن من الكنيف فبرد وسكن ولم يعاود فها أكرم  
الإنسان تستولي على قلبه عظمة الله وخشيته فيترفع عن الدنایا والشهوات  
الخشيسة وما أحقره عند ما تستولي عليه شهوته والله در من قال :

كم قتيل لشهوة وأسير  
أف من مشتهٍ خلاف الجليل  
شوات الإنسان تورثه الذل  
وتلقيه في البلا الطويل

واعلم أن شهوة النساء إذا استولت على قلب إنسان أفسدته وجعلته  
لصا يسرق النظرات ويشتهي المحرمات ولا يقنع بالحلال بل يزهّد في الحلال  
ويرغب في الحرام وذكر أن أعمى كان مريضاً بحب الزنا فاحتالت عليه



زوجته وأرسلت إليه امرأة تقول له سأتيك بامرأة جميلة من أسرة غنية بشرط أن لا تسكلمها حتى لا تعرف صوتها ففرح بذلك واستعد فلما كان الليل جاءته زوجته على أنها المرأة الأجنبية فواقعها وهو في غاية اللذة وبعد الفراغ من ذلك كلمته زوجته قائلة أليس هذا أحسن من الحرام .

فقال سبحانه الله ما أقبحك في الحلال وما أحسنك في الحرام وهذا كله من مرض القلوب والعياذ بالله .

ولقد حدثني إنسان بأنه لم يزن قبل الزواج ولما تزوج زنى والعياذ بالله بإحدى الزائرات لزوجته وهذا لدناءته وخسته وكل هذا الفساد سببه البعد عن تعاليم الإسلام تذهب المرأة إلى صديقها ولا تجدها في البيت وتجده الرجل وحده فيأذن لها بالدخول فتدخل فتقع الجريمة أو يذهب الرجل إلى صديقه فلا يجده في البيت ويجده زوجته وحدها فيأذن له بالدخول فيدخل المغفل فتقع الفاحشة .

وحكى لى شاب أيضا وهو نادم أنه ذهب إلى صديقه فاستقبلته أم لصديقه وليس معها أحد وقالت له تفضل بالدخول هو هنا وأجلسته في حجرة الجلوس على أن تأتي بولدها وجاءته هي بعد أن استعدت وترينت له وتهيات وأغرته فوقعته السكرانة وعرض علينا كثير من هذا من أجل الفتوى وهل لهم من قوبة ؟ فأدلهم على التوبة مقبجا عملهم زاجرا لهم وغير ذلك كثير أستحي من ذكره وما ذكرت ما ذكرت إلا للعظة وبيان فساد الاختلاط والفوضى التي وقع فيها جمهور الناس بسبب المدنية الفاجرة فيا فاس تعلوا آداب دينكم دين الإسلام دين الطهر والسكينة وعلوا نسائكم وبناتكم وحذروهن من الاختلاط والخلووات وليتعلمن آداب القرآن والسنة قال تعالى :

( يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول

فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً (١) وقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوقة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما (٢) وقال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرايت الحمى قال الحمى الموت ، (٣) أى احذروه كالموت والحمى أقارب الزوج غير المحارم كأخيه وعمه وإبنتهما ونحو ذلك والله . در من قال : ( لا يأمنن على النساء أخأه ) وخاصة في هذا الزمان الذي نامت فيه العقول واستيقظت فيه الشهوات .

ولما نادى بعض المستهترين بالاختلاط في الجامعات وكان على رأسهم أستاذ عميد أدب وجامعة كما يقولون فرد عليه الشيخ عبد الله الصديق الغمارى وهو محدث عظيم أتى بالآيات والأحاديث التي تنهى عن ذلك وقال ليس مرادى أن أقنع العميد فإن حضرة العميد عنيد لا تقنعه إلا مقامع من حديد وكذلك كل شيطان يريد استهوته دنياه وغلب عليه شيطانه وهواه .

قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ) (٤) الآية أى علموهم وأدبوهم والمرأة ما أحوجها إلى المحافظة عليها والبهدها عن الفتن والله در من قال : أربع كلمات انتخبن من أربعة آلاف حديث لا تثقن بامرأة ولا تغترن بمال ولا تحمّل معدتك ما لا تطيق وتعلم من العلم ما ينفعلك .

(١) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب .

(٢) رواه الطبرانى . وابن حجر فى الزواج .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة التحريم .

والمرأة عليها مدار كبير فإذا أخفت زينتها ومفاتنها وأظهرت أدبها وعفتها كانت أغلى شيء في الحياة الدنيا وتسببت في سعادة بيتها ومجتمعها وإذا أظهرت زينتها ومفاتنها وافتنى أدبها وعفتها كانت كارثة وهوت بيتها ومجتمعها إلى الخسيف أو الهاوية .

توى كثيرات من الموظفات تخرج من بيتهن متكشفة وتبسط زميلها وتضاحكه وتصاحفه ولعلها في بيتها مع زوجها كأنها عقربة ، ومصاحفة المرأة الأجنبية من غير حائل حرام باتفاق أئمة المذاهب الأربعة فتعجب هؤلاء المتساهلين الذين يفتنون بغير ذلك وما الداعي إلى ذلك ويكفى إلقاء السلام مع الأدب والاحتشام وعلى المرأة أن لا تخرج من بيتها لعمليها أو مصلحتها إلا وهي في غاية الاحتشام والالتزام بأداب الإسلام وإذا وجدت ما يغنيها عن العمل خارج بيتها فهو أفضل من غير منازع من أهل العلم وعملها في بيتها وتربية أولادها وحسن القيام بحق زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله كما في الحديث الشريف .

« حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل الجهاد في سبيل الله » (١) وفقنا الله لما يحبه ويرضاه . بعد ذلك قال شيخنا رضي الله عنه .

وحي بخير وقل خير آ وإن جنحت  
للشر نفسك فاحذر ربة الضرم

أى التزم الخير فعلا وقولا وإن مالت نفسك للشر فحذر ربة الضرم من ربة الضرم وهي النار المشتعلة لأنها نار حامية حرها شديد وقاعها بعيد وماؤها صديد وعصيا حديد وملائكتها عبيد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

---

(١) رواه البزار والطبراني .

روى عن الإمام على رضى الله عنه قال : د من جمع ست خصال لم يدع  
للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فمضاه  
وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف  
الآخرة فطلبها .

وسئل يا أمير المؤمنين : من العالم ؟ قال : من اجتنب المحارم قيل فمن  
العاقل ؟ قال : من رفض الباطل قيل فمن السيد ؟ قال من فعاله جيد . قيل  
فمن السعيد ؟ قال : من خشى الوعيد . قيل فمن الكريم ؟ قال من نفع العديم  
قيل فمن الشريف ؟ قال : من أنصف الضعيف قيل فمن الغمر ؟ قال : من  
وثق بالعمر قيل فمن الهالك ؟ قال : من دفع إلى ماله .

قال تعالى : ( أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمننا يوم القيامة اعملوا  
ما شئتم إنه بما تعملون بصير ) (١)

ومن الحسك العظيمة :

اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها  
واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها  
واعمل للنار بقدر صبرك عليها  
واعمل لله بقدر حاجتك إليه

مر ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه  
فقالوا يا أبا اسحاق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال :

لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء : الأول : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه .

الثاني : زعتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته .

الثالث : قرأتم القرآن ولم تعملوا به .

الرابع : أكلتم نعمة الله وأم تؤدوا شكرها .

الخامس : قلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه .

السادس : قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها .

السابع : قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها .

الثامن : قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له .

التاسع : إذا انتبهتم من النوم اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم .

والعاشر : دفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم .

فاعتبروا بأولى الأبصار واحذروا عذاب النار وغضب الجبار

قال شيخنا رضى الله عنه :

ولا تفرط وخذ بالحزم (١) متكلا

فالأخذ بالحزم منجاة من الحزم (٢)

والتفريط التقصير في الأمر وتضييعه حتى يفوت .

والحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة .

والحزم الشد بحبال القدم في الدنيا وسلاسل النار في الآخرة .

والمعنى لا تقصر في أمورك واضبطها بالعزم والثقة فن أخذ أمره

بالعزم والثقة متوكلا على الله نجا من القدم في الدنيا والعذاب في الآخرة

وإذا كان التفريط في أمور الدنيا يعقبه الندم والحرمان فكيف

(٢) الحزم : بفتح الزاى

(١) الحزم : بسكون الزاى

بالتفريط في أمور الدين إنه يعقب الندامة وندامة يوم القيامة أشد وعذاب الآخرة أشق ولا يستخف بذلك إلا من كان أعمى القلب .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « أصدق الحديث كلام الله ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وشر العمى عمى القلوب ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى والخير جماع الأثم والنساء حبايل الشيطان والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب .

وفي بعض الآثار : إن العجب كل العجب لمن صدق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء وعرف أن رضا الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته . قال شيخنا :

وَأَلْزِمَ النَّفْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ تُكَلِّفُ بِهِ  
عَوْنًا عَلَى زَهْدِ دَارِ الْهَمِّ وَالشَّجَمِ

أى ذكر نفسك بالموت واجعله دائما لك على البال وكان بعض العارفين إذا دعا لمن طلب منه الدعاء يقول : جعل الله ذكر الموت لك على البال والله در من قال :

صاح شعر ولا تزل ذاكر الموت  
فنسيانه ضلال مبيـ

وقال آخر :

الموت يا مسكين حقا تأتى فما تزودت من الخيرات  
آثرت دنياك على أخراك  
ولم تخف يا صاح من مولاك

والقرآن الكريم كثيراً ما يذكرنا بالموت قال تعالى :

( كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن  
زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع  
الغرور ) (١) .

تمكّن في هذه الآية عظة لسلك من في قلبه حياة وفي القرآن آيات كثيرة  
كلها تذكر بالموت وكذلك السعة المطهرة فمن ابن عمر رضي الله عنهما  
قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنسكبي فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب  
أو عابر سبيل » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر  
الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن  
حياتك لموتك رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا  
بالأعمال سبعاً هل تنظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً  
أو هرمًا مفضلاً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة  
فالساعة أدهى وأمر رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن أبي كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب  
ثلثاً الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة  
جاء الموت بما فيه » (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ « أكثرُوا من ذكر هازم  
اللذات » (٣)

---

(١) سورة آل عمران .

(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الإمام أحمد والحاكم

(٣) رواه الترمذي

وذكر أن امرأة جاءت إلى السيدة عائشة رضي الله عنها تشكو قساوة قلبها فقالت لها أكثرى من ذكر الموت ففعلت فرق قلبها فعادت إلى السيدة عائشة تشكرها لأن قساوة القلب أعظم مصيبة يصاب بها الإنسان وكثرة ذكر الموت تزيل هذه القساوة . والبهائم هي التي تنسى الموت وتقصاد إلى المديح وهي لا تعلم من أمرها شيئا وصدق من قال لو تعلم البهائم من أمر الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقال آخر « فتمنح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا » .

وقول شيخنا « تلف به » أى تجد بذكر الموت عوناً على زهد دار اللهم أى الحزن والشجيم أى الهلاك . والزهد فى الدنيا مطلوب بنص القرآن والسنة فمن أنكره فهو جاهل قلل تعالى : ( قل متاع الدنيا قليل ) (١) .

وقال تعالى : ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . وليبوتهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ) (٢) .

فتأمل هذه الآية إن كنت من أهل اليقين وتأمل قول الله تعالى لسيد الأولين والآخرين ﷺ ( ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وزرقت ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى ) (٣) والآيات فى ذلك كثيرة جداً وكذلك السنن المطهرة .

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ

(١) سورة النساء

(٢) سورة الزخرف

(٣) سورة طه



على المنبر وجلسنا حوله فقال : « إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » متفق عليه .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » رواه مسلم .

وعن أبي سهل الساعدي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وغير ذلك كثير وكثير وليس الزهد فى الدنيا بترك الأعمال ولبس المرقع وإهمال البيت والعيال فقد ترى فقيراً حافى القدمين وقلبه يتقطع حسرات على الدنيا وقد ترى ملصكاً أو أميراً وقلبه زاهد فيها .

قيل لبعض العلماء أيها الزاهد فقال لست بزاهد . إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز لأن الدنيا فى قبضته وهو معرض عنها فالزهد فى الدنيا مع التمكن منها أبلغ من الزهد فيها مع الإفلاس منها وإن أتى فى كلا الحالين ، وعلامة الزهد مسع وجود الدنيا أن يتجرى الحلال وأن ينفق فى سبيل الله ذات اليمين وذات الشمال وأن لا يتفاخر بها أو يراها شيئاً يذكر بل يجعلها فى خدمة الدين وهذا لا يسكون إلا بعناية من رب العالمين وعلامة الزهد مع فقدوها الرضا بذلك وعدم التطلع إليها والغنى بالله عنها وهذا أيسر قال بعض الصحابة :

ابتليتنا بالضراء فصبرنا وابتليتنا بالسراء فلم نصبر .

قال الشيخ العارف بالله فتح الله النبهانى فى كتابه لإتحاف أهل العناية الروائية : وبالجمله فعداوة الدنيا محقة عند كل واحد إما حالاً باعتبار المؤمن وإما مآلاً باعتبار الكافر .

وكيف لا تكون عدوة للدؤمن والآخرة لا تدرك إلا بالزهد فيها  
وفي الخبر عن سيدنا موسى بن يسار عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله جل  
ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها (١)  
وورد في الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم (٢) وقد قال  
تعالى: **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا**، (٣).

فالتألم للدين ذليل مقيد بقيود شهوته لا يميز بين الحق وأهله وبين الشر  
وأهله والأخبار في ذم الدنيا أكثر من أن تحصى وقد قال عمار بن سعد مرعيسى  
عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الآفنية والطرق فقال يا معشر الحواريين  
إن هؤلاء ما ماتوا إلا عن سخطه ولو ماتوا على غير ذلك تدافنوا فقالوا يا روح  
الله وددنا أننا علمنا خبرهم فسأل ربه فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يحييوك  
فلما كان الليل أشرف عليهم ونادى يا أهل القرية فأجابه بجيب لبيك يا روح  
الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في العافية وأصبحنا في الهاوية قال  
وكيف كان ذلك قال بحبنا للدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان  
حبكم للدنيا قال حب الصبي لأمه إذا أقيمت فرحنا وإذا أدبرت حزننا وبكيننا  
قال فما بال أصحابك لم يحييوني قال لأنهم ملجمون بلجام من النار بأيدي  
ملائكة غلاظ شداد قال كيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنني كنت فيهم  
ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفيع جهنم  
لا أدرى أنجو منها أم أكسكب فيها . قال المسيح للحواريين لا كل خبز  
الشعير بالمالح الجريش وليس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية

(١) رواه الحاكم في التاريخ وهو عن أبي هريرة بسند ضعيف . وروى  
نحوه ابن عساكر بسند ضعيف أيضا

(٢) أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس . بإسناد فيه جهالة .

(تخريج العراقي للإحياء ٣ ص ١٩٨)

(٣) سورة الأعراف .

الدنيا والآخرة . . . الخ ما ذكره الشيخ وسواء صح سند هذه القصة أولا فالمنع صحيح يؤيده صريح القرآن وصريح السنة ولا يستبعد ذلك إلا من أعمى الله قلبه بحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحب الدنيا مع نسيان الآخرة جنون وخذلان فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن الولد يتبع الأم .

قال تعالى : ( وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ) (١) .

دللت الآية على أن أبناء الدنيا لا عقول لهم وجاء في الحديث الشريف « الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له » ذكر هذا الحديث الإمام ابن كثير (٢) في تفسير قوله تعالى ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مفموما مدحورا ) (٣) .

وقال العارف بالله سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

أربع ليس معهن من العلم لاقليل ولا كثير حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر واليأس ، وهذا كلام سليم يصدق القرآن والسنة فاعتبروا يا أولى الأبصار ألم يبين الله في كتابه الكريم أن الذين يريدون زينة الحياة الدنيا هم الجهلاء وأن الذين يريدون الآخرة هم العلماء قال تعالى في سورة القصص عن قارون ( نخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ) وهم الجهلاء

(١) سورة القصص .

(٢) ابن كثير ج ٣ ص ٣٣ والحديث رواه الإمام أحمد .

(٣) سورة الإسراء .

عظموا زينة الحياة الدنيا بدليل قوله تعالى بعدها ( وقال الذين أوتوا العلم  
ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ) (١)  
اللهم طهر قلوبنا من حب الدنيا واملأها بحبك يا ذا الجلال والإكرام .

قال شيخنا رضى الله عنه :

وإن قسا القلب فالأجدات موعظة  
بها ترق وتهمى عبرة الندم  
إذا تأملت من فيها فلست ترى  
مفرقاً بين صيد الناس والخدم  
ولا ملىً وذى فقر ومن دفنوا  
في سبب جمل أو باذخ الأطم  
وكيف والترب أبلادهم وقد مزجت  
رُمُّ الهوادي برم الساق والقدم  
وما ملكت فقل يانفس سوف يرى  
ملكاً لغيرى كما قد كان من قدم

وهذه الآيات الأخيرة من قصيدة شيخنا مرتبط بعضها ببعض وفيها  
مواظ بالغة وحكم سامية وفوائد نافعة فقوله : وإن قسا القلب فالأجدات  
موعظة الأجدات القبور والمراد زيارتها في زيارة القبور وموعظة بها ترق  
القلوب وتخضع وتهمى أى تسيل عبرة الندم أى دموع الندم والندم توبة  
لأنه أعظم أركانها وكان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه يذكر الجنة والنار  
ولا يبكى وعندما يرى القبر يبكى فقول وكيف لا أبكى والقبر  
والنار ولا تبكى وعندما تذكر القبر تبكى فقول وكيف لا أبكى والقبر  
أول منزل من منازل الآخرة فإن كان سهلاً فما بعده أسهل وإن كان صعباً  
فما بعده أصعب .

ويحسن هنا أن نذكر شيئاً عن زيارة القبور وشيئاً عن البكاء من خشية الله .

أما زيارة القبور ففي (تنوير القلوب) (١) قال : تسن زيارة قبور المسلمين للرجال لأجل تذكر الموت والآخرة وإصلاح فساد القلب ورفع الميت بما يتلى عنده من القرآن لخبر مسلم .

( كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ) ولقوله عليه الصلاة والسلام ( اطلع في القبور واعتبر بالنشور ) رواه البيهقي خصوصاً قبور الأنبياء والأولياء وأهل الصلاح وتكره من النساء لجزعهن وقلة صبرهن ومحل الكراهة إن لم يشتمل اجتماعهن على محرم وإلا حرم ويندب لمن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وكذا قبور سائر الأنبياء والعلماء والأولياء وتناكد يوم العيد ومن عشية خديس إلى طلوع شمس سبت ويكره المبيت بها لما فيه من الوحشة والمشى والجلوس عليها .

ويحرم البول والغائط وإلقاء نجاسة عليها ويسن أن يكون الزائر متوضئاً وأن يقول عند دخوله : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أتم السابِقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويقرأ ما تيسر من القرآن لأن القراءة تنفع الميت في ثلاثة مواضع إذا قرئ في حضرته أو في غيبته لسكن دعا له عقبها أو قصده بها وإن لم يدع له ويسن قراءة الإخلاص إحدى عشرة مرة وأن يقول : اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان أو للدوتي وأن يتصدق عليهم فينفعهم ويصل ثوابه إليهم وأن يقرب من مزوره كقربه منه حياً ويسلم عليه . مستقبلاً وجهه لقوله ﷺ « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ) رواه ابن الدنيا والبيهقي ثم يتوجه إلى القبلة فيدعو له بنحو : ( اللهم رب هذه الأجساد

(١) للعارف بآفته الشيخ أمين السكردى .

البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني . اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتننا بعدهم واغفر لنا ولهم ) والدعاء ينفع لرفع العذاب ورفع الدرجات قال ﷺ : ( ما الميت في قبره إلا كالغريق المغرور ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار ) رواه الديلمي .

ويندب وضع الجريد والريحان على القبر كما جرت به العادة لأنه يستغفر للميت ما دام رطباً لما ثبت أن النبي ﷺ ( شق الجريدة نصفين ثم غرس على قبر نصفاً وعلى قبر نصفاً وقال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا ) رواه الشيخان ومنه يعلم أن قراءة القرآن تنفع الميت لأنه إذا وصل النفع إليهما ( أي القبرين ) بسببهما ( أي نصفى الجريدة ) حال رطوبتهما فاتقيا به بقراءة القرآن من الرجل المؤمن من باب أولى . انتهى .

وقد علمت يا أخى أن زيارة القبور من النساء مكروهة في حالة احتشامهن وأمن الفتنة والبعد عن كل قول أو فعل يخالف الشرع والدين .

وأما ما يحصل منهن اليوم من الزيارة متبرجات ورفع أصواتهن بالدوح والبكاء والاختلاط بالرجال فحرام وإجرام ولو لزمت المرأة بيتها ودعت لميتها وتصدقته عنه في بيتها لكان خيراً له ولها وخاصة في هذا الزمان الذي خلعت فيه المرأة برقع الحياء .

ولو وجد الرجال بمعنى الكلمة لمنعوا النساء من زيارة القبور والمشى خلف الجنائز كما في السعودية لا ترى امرأة خلف جنازة ولا في المقبرة إنك لو رأيت النساء واجتماعهن على القبور في المواسم ويوم الخيبر وصبيحة دفن الميت وما يحصل منهن من إختلاط وفساد مع تركهن للصلاة

وغفلت عن ذكر الله وجهلن بالدين وآدابه لا يقنت أن ذلك بدعة  
منكرة وعمل يؤذى الأموات فضلا عن الأحياء فأين الرجال وأين  
الحياة ؟

في كتاب تسليمة المصاب للشيخ عبد السلام المنير وكان واعظاً عاماً  
بالقطر المصري ذكر فيه أن امرأة بعض أهل الدنيا كانت تخرج في  
الأخمسة لتفرق الرحمة على زوجها عند قبره كما يزعمون وكانت تلتقي ببعض  
الفسقة من الذين يقرأون القرآن على المقابر ليأخذوا رغيها أو كعكها فإذا  
خلالها المكان فعلا الفاحشة على القبر وإذا أحس الفاسق بمجيء أحد من  
الناس قام فقرأ القرآن أعوذ بالله وقراءة القرآن على المقابر بهذا الشكل  
المزرى فيها لائم كبير .

وقد يجتمع اثنان فأكثر ويذنب بعضهم على قراءة بعض وقد نصر العلماء  
على أن هذا حرام .

أما القراءة مع الإخلاص وأدب التلاوة فلا مانع منها وينتفع بها  
الأموات والأحياء كما تقدم .

وأما البكاء من خشية الله تعالى فهو من أجل النعم ينعم الله به على أوليائه  
وأحبابه وهو ثمرة من ثمرات العلم والمعرفة قال تعالى في شأن أنبيائه ( إذا  
تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ) (١)

وفي الحديث الصحيح ( سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله )  
وذكر منهم « ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (٢)

وفي الحديث ( عينان لا تمسهما النار عين باتت تحرس في سبيل الله وعين

بكت من خشية الله (١) والسبيل إلى ذلك لا يكون إلا بكثرة الذكر  
والبعد عن اللهو والتفكير في الآخرة ومجالسة العلماء والصلحين وكثرة  
الصيام وقلة الطعام والبعد عن كل شيء حرام  
ولو لم يكن ابن آدم إلا على مافات من عمره في الغفلات لكان حريه  
أن يبكي على نفسه إلى الممات

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه وأن يبعدنا عن كل شيء لا يرضاه.  
قال شيخنا: إذا تأملت من فيها أى القبور فليست ترى مفرقاً أى فرقاً بين  
صيد الناس أى ملوكهم والخدم فالملك والمملوك والغنى والمصعوك تساوت  
قبورهم في القفر والبيد فسيحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار  
عنيذ وكسر به من الأكاكسة كل بطل صنديد أخرجه من سعة القصور  
إلى ضيق القبور وقطع جبل أملهم المديد ولا فرق أيضاً بين ملئ أى غنى  
مهما اتسع غناه وذئ فقر أى فقير مهما اشتد فقره ومن دُفِنُوا (في سبب  
مجهل) . والسبب الأرض المستوية البعيدة والمجمل المفازة ليس فيها أعلام  
(أو باذخ الأطم) أى أعلا الجبال .  
وكيف والترب أبلهم وقد مزجت

رم الهوادي برم الساق والقسم

أى كيف ترى فرقاً بين المدفونين والتواب أبلهم حتى صاروا تراباً  
وقد مزجت أى خلطت رم الهوادي والرم الثرى والهوادي الأسمعة أى  
اختلط تراب أعلى شيء في الإنسان وهو الرأس بتراب أسفل شيء فيه  
وهو الساق والقدم فكيف يتكبر ويطنى وينسى المقابر والبلى قال الشاعر  
ألا أيها النامى ليوم رحيله أراك عن الموت المفرق لا هيا  
ولا ترعوى بالظاعنين إلى البلى وقد تركوا الدنيا جميعاً كما هيا  
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة وما عمروا من منزل ظل خالياً

(١) أبو يعلى في مسنده . والضياء عن أنس



وهم في بطون الأرض صرعى جفاهموا

صديق وخل كان قبل موافيا  
وأنت غدا أو بعده في جوارهم وحيدا فريدا في المقابر ثاويا  
جفاك الذي قد كنت ترجو وداده ولم تر لفسانا بعهدك وافيأ  
فَسَكُنْ مستعدا للحماس فإنه قريب ودع عنك المنى والأمانيا  
ولما كان المال سببا في الطغيان والغرور لأكثر الناس قال شيخنا في  
البيت الأخير من قصيدته الحكيمة :

وما ملكك فقل يا نفس سوى يرى ملكا لغيري كما قد كان من قدم

أى وخاطب نفسك محذر الهامن الغرور بما تملك من مال وقل لها  
إن هذا المال كان ملكا لغيري ثم صار إلى وسوف يرى ملكا لغيري كما  
كان من قبلى فكيف يغتر عاقل بشيء لا يبقى أو يفرح به والفرح بالدنيا  
غرور والفرح بطاعة الله هو السرور قال تعالى : ( قل بفضل الله وبرحمته  
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ) (١) .

والعاقل من هو بما يبقى أفرح منه بما يفنى .

والناس بالنسبة للمال أربعة أصناف صنف يجمعه من حلال ولم يكن  
ينفقه في حرام فهو من الخامرين . وصنف يجمعه من حرام وينفقه في  
حلال فهو أيضا من الخامرين وصنف ثالث يجمعه من حرام وينفقه في  
حرام فهو أشد الخامرين والصنف الرابع يجمعه من حلال وينفقه في  
حلال يؤدى حق الله منه ولا يشغل به عن طاعة الله ويجعله في خدمة  
الدين فهو من الفائزين قد جمع بين سعادة الدنيا والدين .

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح السكفر والإفلاس بالرجل

حقاً ما أنفع المال في يد ذي علم وفضل

وما أضره في يد ذي جهل وبخل .

والناس في هذا أيضاً أربعة أقسام كما جاء في الحديث الشريف :

القسم الأول من أعطاه الله العلم والمال فهو يتصرف في ماله على حسب علمه فهو من الفائزين :

والثاني أعطاه الله علماً ولم يعطه مالا فهو يتمنى لو كان عنده مال لفعل كذا وكذا على حسب علمه فهو والأول سواء أي من الفائزين :

والثالث أعطاه الله المال ولم يعطه علماً فهو يتصرف في ماله على حسب جهله فهو من الخاسرين .

والرابع لم يعطه الله علماً ولا مالا فهو يتمنى لو كان عنده مال لفعل به كذا وكذا حسب جهله فهو والثالث سواء أي من الخاسرين وتبين من هذا أن الخير كله مع العلم سواء وجد المال أولاً ، والشر كله مع الجهل فإن وجد المال مع الجهل ازداد العطين بلاءً وإن لم يوجد المال مع الجهل خسر الدنيا والآخرة .

والمراد بالعلم العلم النافع وهو الذي تكون معه الخشية من الله قال تعالى :  
(لنمّا يخشى الله من عباده العلماء) (١) .

فمن لم يخش الله فليس بعالم ، والعلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك وكلما ازداد الإنسان علماً ازداد خوفه من الله وكلما ازداد جهلاً ازداد جرأة على الله واعلم أن العلم لنمّا يتعلم لأنه إلى العمل سلم كما أن العمل إلى ما عند الله ذريعة ولولاها ما علم علم ولا شرعت شريعة .

ولو نفع العلم من غير عمل ما ذم الله أحبار اليهود ولو نفع العمل من غير إخلاص ما ذم الله المشافقين فلا بد من العلم والعمل والإخلاص معاً ومن فقد واحداً منهما كان بنافذة على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم يعود

بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وأفضل طريق يوصل إلى العلم النافع هو تقوى الله قال تعالى: «واتقوا الله ويعلمكم الله» (١).

وليس العلم بكثرة الرواية والحفظ وإنما العلم نور يضعه الله في قلب من أحب من عباده.

وهل يضع الله هذا النور إلا في قلوب المتقين قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) (٢).

أى نوراً تفرقون به بين الحق والباطل وقال تعالى: (ومن لم يجعل الله له نوراً فإنه من نور) (٣).

فتقوى الله معها العلم والنور وسعادة الدنيا والآخرة وعز الدنيا والآخرة ومن لم يفهم ذلك فلا يفهم شيئاً قال تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) (٤).

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى      تغلب عريانا ولو كان كاسيا  
وخير لباس المرء طاعة ربه      ولا خير فيمن كان لله عاصيا  
وما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا الحلال خوفاً من الحرام أى  
تركوا جانباً من الحلال خشية أن يجرهم إلى الشبهات فإن التوسع  
في الحلال يجر إلى الشبهات والتوسع في الشبهات يجر إلى الحرام والتوسع  
في الحرام يجر إلى الكفر والعباد بالله.

ففي صحيح البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال سمعت رسول

- 
- |                   |                    |
|-------------------|--------------------|
| (١) سورة البقرة . | (٢) سورة الأنفال . |
| (٣) سورة النور .  | (٤) سورة الأعراف . |

الله ﷻ يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ أعراضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراخ يوعى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب، (١) .

وقال بعض العلماء نظاماً:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية  
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك واعلم بدينه

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

واعلم أن الحق سبحانه لما أراد أن يبين صورة آدم من زمان  
تقدم ابتناها على صورة المدينة وأنقن فيها من المباني ما يدل على قدرة  
البارئ .

وحرك فيها مثالك ومثاني تشير أن ليس له ثان ثم نصب وسط  
هذه المدينة قصر المملكة وبث حوله أشراك المملكة وسمى ذلك القصر  
بالقلب إذ هو بيت الرب وجعل مدار هذه المدينة عليه ومرجع الكل  
إليه بإشارة الأوان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد  
وإذا فسدت فسد سائر الجسد وهي القلب ووضع في هذا القصر ممرير العز  
والسلطان وأجلس عليه ملكاً يقال له الإيمان وبث الجوارح في خدمته  
كالغلمان فقال اللسان أنا الترجمان وقالت العينان ونحن الخارستان وقالت  
الأذانان ونحن الجاسوسان وقالت القدمان ونحن الساعيتان وقالت اليدين  
ونحن العاملان وقال المسكان ونحن الشاهدان وقال صاحب الديوان وكما  
تدين تدان .

- ٧٥ -

فتأمل يا أخى وقل لنفسك كما قال بعضهم :

بالله يا نفسُ اسمعى واعقلى  
مقالة قد قالها ناصحُ  
لا ينفعُ الإنسانُ في قبره  
إلا التقى والعملُ الصالح  
وقال آخر :

ألا إنما التقوى هى العز والكرم  
وحبك للدنيا هو الذل والعدم  
وليس على عبد تقى قعيصة  
إذ! صحح التقوى وإن حاك أو حجم  
قال بعض العارفين مدار الكلام على أربع :

حب الجليل وبغض القليل والعمل بالتنزيل وخوف التحويل : حب  
الجليل وهو الله وبغض القليل وهو الدنيا ( قل متاع الدنيا قليل )<sup>(١)</sup> والعمل  
بالتنزيل وهو القرآن والسمة لازمة له وخوف التحويل أى الخوف من  
سوء الخاتمة . كما هو شأن المتقين والصالحين حتى كان بعضهم يبكي الليل كله  
خائفا من سوء الخاتمة .

ويقولون : العوام يخافون من الذنوب والعارفون يخافون من الكفر  
وذكروا أن بعض الصالحين كان كثير البكاء حتى قالت زوجته أما تقر  
عينى بك وأحالت عليه بعض إخوانه من العلماء فقال له أما قرأت الحديث  
« من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة »<sup>(٢)</sup> فقال لو :

---

(١) سورة النساء

(٢) رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد .

أعلم أنى أموت عليها لم أبال بشيء وسيد العابدين والعارفين والخائفين صلى الله عليه وسلم كان كثير البكاء وقال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (١) وكان كثيرا ما يقول «يا قلب القلب ثبت قلبي على دينك» (٢)

ووصف الله عباد الرحمن بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم) (٣) . أى هم مع قيام الليل والاجتهاد فى العبادة يخافون .

وعبيد الشيطان مع تضييع الفرائض وارتكاب الحرام يضحكون وفى الباطل يرتعون كأنهم لا يحاسبون . وإذا قلت لأحدهم اتق الله وخف يوم الحساب ضحك مستهترا وقال ساعتها تفرج . يا أرض ابلعى هؤلاء الحمر

قال تعالى فى شأن المعرضين عن التذكرة ( كأنهم حمر مستفجرة) (٤) فقال بعضهم أقبح شيء بالإنسان أن يكون غافلا عن الفضائل الدينية والعلوم النافعة والأعمال الصالحة ومن كان كذلك فهو من الطمع والرعاى الذين يكذبون الصفو ويضيقون الديار ويغفلون الأسعار إن عاش أحدكم عاش غير حميد وإن مات مات غير فقيد موتهم راحة للعباد والبلاد لا تستوحش لهم الغبراء ولا تبكى عليهم السماء قال تعالى فى شأن المجرمين (فما بك عليهم السماء والأرض) (٥) .

عما يدل على أن المتقين تبكى عليهم السماء والأرض وثناء الله على المتقين فى القرآن كثير فمن لم يرغب فى تقوى الله فهو مجنون والعجب من أناس يدعون الذكاء ويتنافسون فى أنفهم الأشياء كيف يكون غافلا من باع الجنة

(٢) رواه الترمذى

(٤) سورة المدثر

(١) متفق عليه

(٣) سورة الفرقان

(٥) سورة الدخان

وما فيها بشهوة ساعة . إن التنافس ينبغي أن يكون فيما أمرنا الله أن نتنافس فيه . وهو كل شيء يوصل إلى الجنة قال تعالى : ( وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ) (١) .

وقال تعالى ( وهارعدوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ) (٢) يا أخى ألسنت تريد أن تكون سعيداً فى الدنيا والآخرة هذا لا يكون إلا بتقوى الله .

وشيخ الإسلام أبو حامد الغزالي ذكر كلاماً فى تقوى الله عندما وقع نظرى عليه فرحت به فرحاً لا أستطيع التعبير عنه كأتى رأيت الجنة ونعيمها وأذكره ههنا وأنصح لكل عاقل أن يكثّر من التفكير فيه .

قال رضى الله عنه فى منهاج العابدين : فإن قلت فبين لنا الآن إما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم أولاً أن التقوى كنز عزيز فلهن ظفرت به فكتم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس . وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التى هى التقوى وتأمل ما فى القرآن من ذكرها فكتم علق بها من خير وكم وعد عليها من أجر وثواب وكم أضاف إليها من سعادة وأنا أعد لك من جملتها اثنتى عشرة خصلة :

أولها : المدح والثناء قال الله تعالى : ( وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ) (٣) .

والثانى الحفظ والحراسة من الأعداء قال الله تعالى ( وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ) (٤) .

(١) المطففين

(٢) سورة آل عمران

(٣) سورة آل عمران

(٤) سورة آل عمران

والثالث : التأييد والنصرة قال الله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا واتقوا الذين هم محسنون) وقال تعالى (والله ولي المتقين) .

والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

والخامس : لإصلاح العمل قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا مديداً يصلح لکم أعمالکم) .

والسادس : غفران الذنوب قال الله تعالى (ويعفو لکم ذنوبکم) .

والسابع : محبة الله قال الله تعالى : (إن الله يحب المتقين) .

والثامن : القبول قال الله تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) :

والتاسع الإعزاز والإكرام قال الله تعالى (إن أكرمکم عند الله اتقاکم) .

والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى : (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) .

والحادى عشر : النجاة من النار قال الله تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا) وقال تعالى : (وسيجنبها الأتقى) .

والثانى عشر : الخلود فى الجنة قال تعالى (أعدت للمتقين) .

فهذا بيان كل خير وسعادة فى الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك أيها الرجل منها ثم الذى يختص به هذا الشأن من أمر العباد ثلاثة أصول أحدها التوفيق والتأييد أولا وهو للمتقين كما قال تعالى (إن الله مع المتقين) .

والثانى لإصلاح العمل وإتمام التقصير وهو للمتقين . كما قال الله تعالى : (يصلح لکم أعمالکم) .



والثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى: (إنما يتقبل الله من المتقين) ومدار العبادة على هذه الأمور الثلاثة التوفيق أولاً حتى تعمل ثم الإصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول لإذاتم وهذه الأمور الثلاثة هي التي يتضرع فيها العابدون إلى الله تعالى ويسألون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك وأتم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى وأكرم بها المتقي سأل أو لم يسأل فعليك بهذه التقوى إن أردت عبادة الله سبحانه بل إن أردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صهق القائل :

من اتقى الله فذاك الذي سيق إليه المتجر الرابع

وقال غيره :

من عرف الله علم تغنه معرفة الله فذاك الشقى  
ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقى  
فيا أخى اجمع عقلاء العالم هل يستطيعون أن يأثروا بنوع من السعادة  
لم تأت به هذه الآيات كلا وألف كلا، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف  
والغنى اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن  
طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم  
متعنا بأسماعنا أبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا  
على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل  
الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا اللهم اغفر  
وراحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم وأنت علام الغيوب اللهم  
عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بأعمالنا فمنا يليق بلؤمنا ومنك ما يليق بكرمك  
يا أرحم الراحمين .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
وما توفيتي إلا بالله عليك توكلت وإليه أنيب تم الفراغ من هذا  
الشرح في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب ١٤٠٣ هـ .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
القصيدة كالملة	٥
الإجتهاد والحد في سلوك الطريق إلى الله	٨
المعاملة مع الله والفوز بالجنة	١٠
الاستعانة بالله والاستقامة على شرعة	١٤
من أهم آداب السلوك : السهر والجوع	١٧
الذكر والفكر والمراقبة والرجاء الخوف	٢١
ترك حظوظ النفس والصدق مع الله	٢٤
مجاهدة النفس وأنوارها	٢٦
حب الله ولزوم بابه	٣٢
قيام الليل وما فيه من الخيرات والبركات	٣٥
حقيقة العبودية لله عز وجل	٤٠
فضل الله العظيم على نبيه الكريم ﷺ	٤١
التحذير من الاغترار بالدنيا	٤٦
التحذير من فتنة الأحداث والنساء	٥١
معالجة ميل القلوب إلى شهوة النساء	٥٢
حكم سامية للعمل بها	٥٨
ذكر الموت يزهّد في الدنيا	٦٠
تذكر أحوال الموتى يرفق القلوب	٦٦
الناس والعلم والمال	٧١
حقيقة التقوى وشرف أهلها	٧٣
وهي مسك الختام إن شاء الله	

### مطالع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواحة لكلية الآداب  
ت ٢٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠  
تلكس ٢٤٠٠٤٠ DWFA UN



## مطالع الزوايا - المنظورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلکس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

Bibliotheca Alexandrina



0402326

